الفصل الأول
الدور السياسي للوزراء

- علاقة الوزراء بالسلاطين.

- دور الوزراء في الحروب الداخلية والفتن والثورات.

- الوزراء والبيعة ونظام وراثة العرش

- دور الوزراء فى الحروب الخارجية

obeikandl.com

obeikandl.com

علاقة الوزراء بالسلاطين الحفصيين

لقد اختلفت العلاقة بين السلاطين الحفصين ووزرائهم من حين إلي آخر ومن سلطان إلي آخر وذلك حسب قوة السلطان وضعفه، فقد تكون علاقة تعظيم واحترام وطاعة أو قد تكون علاقة مشينة يصبغها الغدر والخيانة والتمرد، ونجد انه في عهد السلطان أبى زكرياء صاحب الجاه والقوة، حيث كان مسيطرًا علي وزراؤه، وكانوا دائمًا يخشونه فقد كان يعمل علي إصلاح أحوالهم وعزل المفسدين منه[١] فقام بالقبض علي وزيره ميمون بن موسي بسبب ثراءه الفاحش فأخذ أمواله وبعث به إلي قابس[٢] فكان الوزراء دائمًا يطيعونه ولا يخرج عليه أحد وجعل أبا يحيي ابن أبى العلاء ابن جامع بدلًا من[٣] فنجد أن علاقته بوزراؤه كانت قوية هنا يضرب لهم مثلا في الأخلاق والعدل وذلك عندما لاحظ ترف وثراء وزرائه فاستدعى أحدهم يوما، وكان وزراؤه موجودين بمجلسه، وعندما دخل عليه الوزير من باب الصر[٤] ودخل علي قبة السلطان وكان السلطان جالسًا علي كرسي خشبى، وبيده إبره وهو يرقع ثيابه، وكان الغداء علي مائدته نوع واحد وخبز غير نقي فأكل، فلما فرغ قال انصرف بسلام فخرج، وكان هدفه من ذلك عدم مغلاة الوزير في

(١) الزركشي: المصدر السابق: ص٢٥.

(٢) نفس المصدر السابق: ص٢٥.

(٣) نفس المصدر السابق: ص٢٦.

(٤) كانت سياسته مع وزراؤه حياه تقشف وهددهم بالعقاب إذا أنحرفوا عن سياسته، وكان هو أسوه لهم راجع العامري: تاريخ المغرب العربي، ص١٧.

ملابسة الفاخرة في حين أنه يجلس بثياب مرقعة[١].

وبلغت قوة السلطان أبى زكرياء الحفصي مداها عندما أقصى محمد بن محمد الجواهري صاحب الأشغال[٢] الذي وفد إلي تونس من مسيته، فأخذه السلطان وعينه صاحبا للأشغال علي جباية أهل الخيام بأفريقية لأنها غير منضبطة، وكلفه بتنظيمها، حتى أصبحت عملًا قائمًا بذاته يطلق عليه "عمل العمور"، وأخذ الجواهري يقوي نفوذه، وبدأ يعمل لحسابه في جمع الأموال، وكون قوة عسكرية خاصة به، مما أثار نار الحقد بينه وبين صاحبا النفوذ أبى علي بن النعمان، وأبي عبد الله بن الحسين، وكانا دائمًا يحذران أبى زكرياء من حدوث ذلك ومن طموحات الجواهري ورفض السلطان أبو زكرياء حتى يتأكد بنفسه، وحدث موقفًا فغضب أبو زكرياء، وأعتبر ذلك دليلًا علي نوايا الوزير الجواهري، وتأكد أكثر عندما سأله يومًا عن جمع بعض الثروات، فقال له الجواهري أنه عليك ألف من الجنود تحت أمر السلطان، ولكن أبا زكرياء لم يكن أمامه سوي القبض عليه وتقليص نفوذه وأودعه السجن في موضع القصبة[٣]، وعذبه عذابًا شديدًا حتى انتحر خانقًا نفسه بعمامته، وجرت جثته خارج العاصمة ليراها الناس ويعتبروا من ذلك[٤].

---

(١) ابن الشماع: المصدر السابق، ص٥٦، ابن دينار: المصدر السابق، ص١٥٦، العامري: المرجع السابق، ص ١٨.

(٢) صاحب الأشغال: كان صاحب هذه الخطة بمثابة وزارة المال، وكان ابن محمد الجواهري هو أول وزير للمال. راجع الزركشي:المصدر السابق، هامش ص٢٩.

(٣) الزركشي: المصدر السابق، ص٣٠، المطوي: السلطة، ص ١٥١.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج٦، جـ١٢، ص٦٢٧، الزركشي: المصدر السابق، ص٣٠، المطوي:السلطة، ص ١٥١.

وخلاصة القول

أن قوة السلطان الحفصي تنعكس علي سيطرته علي وزرائه ورجال دولته، فلا يستطيع أحدٍ منهم أن يتحكم فيه ويفرض عليه الوصايا، ولكن قوة السلطان جعلت الجميع يقدمون له الولاء والطاعة.

الوزير ابن المهدي والثورة علي السلطان المستنصر ابن أبى زكرياء:

عندما تولي السلطان المستنصر بن أبى زكرياء أمور الدولة الحفصية استحوذ عبد الله بن أبى مهدي الذي كانت له مطامع بلغت مداها وتجاوزت حدود وظيفته من أجل السيطرة علي السلطان الحفصي الشاب الذي خضع في سياسته وإدارته لشخصيات وافدة من الأندلس، وخاصة من العلوج النصارى[١] الذين زاحموا أهل الدولة مراكزهم، فعمل ابن أبى مهدي الهنتاتي علي إنهاء وجودهم من الدولة الحفصية، والعمل علي إنهاء حكم المستنصر فتآمر ضده مع إبراهيم بن ابى إسحاق وأبي عبد الله محمد اللحيانى الذي أدعي أن الحكم الحفصي من نصيب والده لأن أبا زكرياء الحفصي حصر ولاية العهد في أبنائه دون أن يشرك أخوته فيها، واتفق مع ابن أبى مهدي الهنتاتي علي تنفيذ هذا الاتفاق سرًا[٢]، ولكن سرعان ما تسرب هذا السر إلي محمد اللحياني[٣] الذي عرف ما يدور في فكر ابنه مع الوزير ابن أبى مهدي، وخشي

(١) ابن خلدون: العبر، مج٦، ج١٢، ص٦٢٧، الزركشي: المصدر السابق، ص٣٣، يوسف فهمي الجزايرلي: الجزائر أرض البطولة، ص ٣٢٨ – ٣٢٩، المطوي: السلطنة، ص ١٧٦.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج٦، ج١٢، ص ٦٢٧، المطوي: السلطنة، ص١٧٦، العامري: تاريخ المغرب، ص٨٠

(٣) محمد اللحياني: هو أبى يحى زكريا ابن أبى العباس أحمد بن عبدالله محمد اللحيانى بن أبى

من حدوث فتنه ربما تؤدي إلي نهاية الدولة الحفصية، فذهب إلي السلطان المستنصر، وحذره بما ينوي أن يقوم به ابنه والوزير ابن أبى مهدي وأكد صحة وصدق هذا الكلام[١] القاضي أبو زيد التوزى.

وبدأت أحداث الثورة يوم (العشرين من جمادي سنة ٦٤٨هـ / سبتمبر ١٢٥٠م) عندما قبض الوزير ابن أبى مهدي علي الوزير أبى زيد بن جامع، وخرج مع مشيخة الموحدين لمبايعة محمد اللحياني، وكان علي المستنصر الرد بشدة علي هذه الثورة حتى لا يفقد ملكه، فاستعد أشد استعداد هو وجنوده من العلوج[٢]، وجعل العلج ظافر علي رأس جيشه، والتقي الجمعان بالمصلي خارج باب المنارة، واستطاع القائد ظافر من تحقيق النصر علي ابن أبى مهدي الهنتاتي ومن معه من الموحدين، وزحف القائد ظافر إلي دار محمد اللحياني، وقتل الثائر بل وصل الأمر إلي التخلص من والده الذي كان معارضًا لابنه وثورته، وبالغ القائد ظافر في الانتقام والقتل من مشايخ الحفصين بنهب الأموال وهدم الديار مما أثار أعجاب المستنصر بتلك الأعمال الوحشية في حق أهله فقام بتقديم الهديا والعطايا للجنود والقواد علي ذلك، وقدم القائد ظافر رؤوس الثائرين مع رأس عمه محمد اللحياني[٣] وأيضًا رأس أخاه أبى إبراهيم ابن الشيخ ابن محمد بن

محمد عبدالواحد بن أبى حفص ولد سنة ٦٥١هـ /١٢٥٣م، أمة أصلها رومية اسمها محرم راجع ابن الشماع: المصدر السابق ص ٦٢، و٨٥ هامش ٦

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص ٦٢٧، المطوي: السلطنة، ص١٧٧.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١١، ص ٦٢٧ – ٦٢٨، المطوي: السلطنة، ص ١٧٧.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص٦٢٨، الزركشي: المصدر السابق، ص٣٣، المطوي: السلطنة، ص١٧٧، ابن الشماع، المصدر السابق، ص٦٤.

الشيخ أبى حفص واستصفت أموالهم ولم يبق منها شيء[١].

الوزير عبد الله ابن أبى الحسين وعلاقته بالسلطان المستنصر:

بعد مقتل الوزير ابن أبى مهدي أثناء الحروب التي قامت بين جيش المستنصر بقيادة القائد ظافر وجيش الثائرين عليه ابن أبى مهدي وابن عمه ابن أبى محمد الليحاني[٢]، عين السلطان المستنصر ابن أبى الحسين[*] في الوزارة[٣]، فأدرك خطورة تفاخم وتعاظم دور القائد ظافر الذي أخذ نفوذه يسيطر علي شئون الحكم، فأوغر صدر السلطان المستنصر علي قائده ظافر بالتعاون مع علج آخر اسمه هلال حتى يصبحا مسيطرين علي السلطان. وعندما ترامت هذه الأخبار إلي مسامع القائد ظافر فر هاربًا عند قبائل الذواوده في جنوب المغرب الأقصى، واستطاع الوزير محمد ن أبى الحسين من السيطرة علي السلطان الحفصي ولكن بعد موقعة اللحياني والوزير ابن أبى مهدي وهروب القائد ظافر[٤] فنكره السلطان، عندما سعي أعداؤه داخل الدولة لإثارة السلطان ضده

(١) العامري: تاريخ المغرب العربي، ص٨٠.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص ٦٢٧، الزركشي: المصدر السابق، ص٣٣، المطوي: السلطنة، ص ١٧٧، ١٧٩.

(*) هو محمد بن أبى الحسين: يرجع أصل هذا الوزير من بني سعيد رؤساء القلعة المجاورة لغرناطة، وكان كثير منهم قد أستعملوا أيام الموحدين بالعدوتين، وكان جدة أبو الحسن سعيد صاحب الأشغال بالقيروان ونشأ هذا الوزير في نعالة جدة، ولما عزل وهلك ببونة سنة (٦٠٤هـ) ورجع حفيده هذا إلي تونس واتصل بالأمير أبا زكريا، واستبدوسيطر عليه، راجع ابن خلدون: العبر، مج٦، ج١٢، ص٦٧٢ – ٦٧٤، المطوي: السلطنة، ص ١٧٨.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٢٨، المطوي: السلطنة: ص ١٧٨.

(٤) ابن خلدون: المصدر السابق، مج ٦، ج ١٢، ص٦٢٨-٦٢٩، الزركشي: المصدر السابق، ص٣٣، المطوي: السلطنة، ص ١٧٨.

حينما أشاعوا مداخلته لأبي القاسم بن فخذومه أبى زيد بن الشيخ أبى محمد، واعتقله السلطان بداره تسعة أشهر، ثم سرحه وأعاده إلي مكانه، وثأر من أعدائه، واستولي على أمور السلطان، مرة آخري إلي أن توفي سنة أحدي وسبعين وستمائة.

وشهدت الدولة الحفصية انحطاطًا سياسيًا بعد وفاة أبى زكرياء الأول والمستنصر وذلك بسبب ضعف السلاطين وسيطرة الوزراء(**). واستمر مسلسل السلاطين الضعاف الخاضعين لنفوذ الوزراء ورجال الدولة الأقوياء، حيث سيطر الوزير أبو عثمان سعيد بن أبى يوسف بن أبى الحسين ووزير الأشغال علي السلطان الواثق بن المستنصر، وتبادل الوزير أبو عثمان(١) والوزير عبد الملك الغافقي(٢) المكني بأبي الحسين من أجل السيطرة علي السلطان الذي أصبح ألعوبة في أيديهم، وتطلع كل منهما للسيطرة علي شئون الدولة، وكان الوزير أبو عثمان هو صاحب الكلمة(٣) مما أثار حفيظة الغافقي الذي كان شغله

(**) برنشفيك: المرجع السابق، ج١، ص ١٣٦.

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص ٦٧٧، الزركشي: المصدر السابق، ص ٤١، ابن الشماع: المصدر السابق، ص ٧٤، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٥، المطوي: السلطنة، ص ٢٣٢.

(٢) المطوي: السلطنة، ص ٢٣٤، الغريب في هذا الصراع هو أن عبد المالك الغافقي كان يعمل في خدمة الوزير أبى عثمان بعد قدومة من الأندلس ولكن عندما تولي ديوان إنشاء في حياة السلطان المستنصر وتوثقت علاقاتة مع السلطان حتى سعي إلي التخلص منه، راجع ابن خلدون: العبر، مج، ج١٢، ص٦٧٧، المطوي: السلطنة، ص٢٣٢.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٧٧، الزركشي: المصدر السابق، ص ٤١، ابن الشماع: المرجع السابق، ص ٧٤، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٥، المطوي: السلطنة، ص ٢٣٢.

الشاغل بأمور الفخامة والثراء وأنواع الملابس واقتناء الذخائر[١] ولكنه عمل علي التخلص من الوزير أبى عثمان بعدما أصبح السلطان الواثق في يديه كالمحجور[٢] وغلبه علي أمره[٣] وسعي لافتعال الدسائس والوقيعة بين السلطان والوزير أبى عثمان، حتى اقتنع السلطان بالاستيلاء علي أموال الوزير والتخلص منه وعزله من الوزارة واعتقله بالقصبة وعين لامتحانه ومصادرة أمواله عبد الرحمن بن أبى علام، وبعد ستة أشهر من التعذيب توفي سعيد بن أبى الحسين في ذي الحجة من عام (٦٧٦هـ) بعد أن صودرت أمواله التى تقدر بستمائة ألف دينار غير الأثاث والمتاع الآخر(**)[٤]، ودفن جسده بحيث لم يعرف مكانه أحد، وأصبح الغافقي هو المتحكم الوحيد في السلطان والدولة، لدرجة أنه عين وزيرًا آخر للأشغال من العلوج يسمي مدافع، وبالغ في إذلال الناس والاستبداد بالوزراء الحجاب[٥].

(١) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٥، ابن الشماع: المصدر السابق، ص ٧٥، المطوي: السلطنة، ص ٣٢.

(٢) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٥، المطوي: السلطنة، ص ٢٣٣.

(٣) ابن الشماع: المصدر السابق، ص ٧٤، ابن أبى دينار: المصدر السابق، ص ١٦٠.

(**) قام أبو زيد بن أبى علام بامتحان الوزير أبى عثمان وظل يستخرج منه حتى أدي الإملاق وحلفه محلف ثم ضرب، فذكر لهم أسماء قوم عندهم أمواله استكشفوا منه فادوه ثم دل بعض مواليه علي ذخيرة بدارة قدوتها فأستخرج منها فيه المبلغ المذكور، راجع ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٧٨.

(٤) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٥، الزركشي: المصدر السابق، ص ٤١، المطوي: السلطنة، ص ٢٣٣، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٧٧ – ٦٧٨.

(٥) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٥، الزركشي: المصدر السابق، ص ٤١، ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٧٨.

وبالغ الوزير الغافقي في الاستبداد بالسلطان الواثق وأصبح هو صاحب الكلمة في الدولة الحفصية حيث أصبح يولي من يشاء ويعزل من يشاء والسلطان لا يحرك ساكنًا، فقام بتقليد أخيه إدريس ولاية الأشغال ببجاية، فقام بها وكان شغله الشاغل جمع الأموال، وتحكم في كبار رجال الدولة بها[١] وأساء معاملةأهلها[٢] ولم يقبل محمد بن أبى هلال استبداد إدريس عليه وأظهر سخطه وتبرمه، فهم إدريس للتخلص منه[٣]، مع جماعة من جند بجاية[٤] فبادر والي المدينة محمد بن أبى هلال لقتله بعد أن استعان ببعض بطانته[٥] وبرجالًا من عامة البلد[٦] ودخلوا عليه بموقع شغله فقتلوه في ذي القعدة عام ٦٧٧هـ[٧] وألقوا برأسه إلي الغوغاء فعبثوا به[٨] وكان ذلك موافقًا قدوم السلطان أبى إسحاق من الأندلس لتولي حكم تونس فقام ابن أبى هلال وأهل بجاية بمخاطبته ومبايعته، وبعثوا إليه بوفود يستحثونه للقدوم للملك فأجابهم بعد مبايعة العامة له، فاستولي علي قسطنطينية فأمتنعت عليه فتركها

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٧٩، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٥، الزركشي:المصدر السابق، ص ٤٢.

(٢) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٥، المطوي:السلطنة، ص ٢٣٣.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٧٩، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٥.

(٤) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٥.

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٧٩، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٦.

(٦) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٦.

(٧) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٧٩، ابن القنفذ:الفارسية، ص ١٣٦، الزركشي: المصدر السابق، ص ٤٢، المطوي:السلطنة، ص ٢٣٣.

(٨) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٧٩.

ولما بلغ الخبر إلي الوزير المستبد ابن الجبر وسلطانه المغلوب علي أمره وعرفوا بما حدث، قرروا محاربته، فأرسلوا إليه جيشا بقيادة عم السلطان الواثق أبى حفص واستوزر له أبا زيد بن جامع، وحاول الوزير ابن الجبر الوقيعة بين أبى حفص ووزيره ولكنهما فطنا لذلك، واتفقا علي الدعاء للسلطان أبى إسحاق وبعثوا له بذلك.

وعندما علم السلطان الواثق بذلك، تخلي عن الملك لعمه السلطان أبى إسحاق غرة ربيع الأول عام ٦٧٨هـ أمام عامة دولته وخاصته، وعلي الفور تحرك السلطان أبو إسحاق إلي تونس، ودخل الحضرة منتصف ربيع الآخر عام ٦٧٨هـ، فقبض علي الوزير المستبد، وأمر باعتقاله وجعل له موسي بن محمد بن ياسين لامتحانه ومصادرة أمواله كما فعل ابن الجبر مع خصمه السابق الوزير سعيد بن أبى الحسين، فنجد تشابه كاملا في طريقه مقتل كل منهما وكذلك فعل السلطان أبو إسحاق وزيره وحاجبه الخاص ابن سيد الناس، وذلك بسبب قربه من السلطان وولي العهد أبي فارس عبد العزيز، كما فعل باقي الوزراء (بطانة السلطان) فحسدوه علي هذا المكان وقرروا التخلص منه قبل أن يتولي ولي العهد الحكم فيحول بينهم وبين السلطان الجديد، فوشى أولئك الوزراء إلي السلطان بمحاولة أحمد بن سيد الناس وولي العهد لقلب نظام الدولة، فأثروا علي السلطان تأثيرًا شديدًا وخوفوه من ذلك[1] فبادر السلطان أبو إسحاق إبراهيم باستدعائه إلي رأس الطابية، فأتي إليه مسرعًا، فخرج إليه رجاله بالسيوف، فأيقن الموت فاستشهد وقتل على حالته وحفرت له حفرة

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٨٤، المطوي: السلطنة، ص٢٤٠، برنشفيك: المرجع السابق، ج١، ص ٢٤٠.

ورمي فيها[١].

وهذا يدل علي مدى ضعف السلطان في اتخاذ قراراته بنفسه بسبب بعده عن الأحداث وخلوده للذاته وشهواته وانصرافه إلي ذاته وترك الأمور بيد وزراؤه وأبنائه[٢]، فاستولت الأعراب علي القرى والمنازل ونهبوا الأموال والحريم وقلت المجابي وكثر الإقراع والإتعاق[٣].

وكانت علاقة السلطان ابن أبى عمارة مع وزرائه علاقة يشوبها الحذر والخوف من الانقلاب عليه، وكان لشدته يفر الناس منه، فألقي القبض علي وزيره موسي بن ياسين الذي ساعده كثيرًا في الاستيلاء علي الحكم وأعدمه مع بعض الشخصيات البارزة في دولته[٤] وتخلي وزراؤه عنه بعد ذلك أثناء حروبه مع السلطان الجديد عمر الحفصي مثلما فعلوا من قبل مع السلطان الحفصي أبى إسحاق[٥].

وهناك من السلاطين من قتل وزراء آخرين، علي الرغم من مساعدتهم له في إعتلاء العرش، مما جعل نار الحقد والغيرة تدب بين وزراؤه، وهذا ما حدث من السلطان عمر الحفصي الذي كان يفضل وزيره الفازازى[٦] والقائد العسكري المقتدر الواعي الذي كان يحفظ النظام في الأقاليم ومقاومة الأعداء

(١) الزركشي: المصدر السابق، ص ٤٤، برنشفيك:المرجع السابق، ج ١، ص ١١٢.
(٢) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٩، المطوي: السلطنة، ص ٢٣٨.
(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص ٦٨٨، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٩ – ١٤٠.
(٤) الزركشي: المصدر السابق، ص ٤٩، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١١٩.
(٥) الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٠، ابن خلدون: العبر، مج ١٢، ج ١٢، ص ٦٩٦.
(٦) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٩٩، المطوي: السلطنة، ص ٢٦٨.

في الخارج[١] ومعه أبى الحسن بن أبى بكر بن سيد الناس، وموحد بن أبى بكر بن خلدون، ولكن ابن سيد الناس لم ترق له سياسة السلطان في التمييز بينهما، فقرر ترك منصبه في حاشية السلطان عمر الحفصي، وتوجه إلي تلمسان، للبحث عن مكانة وحظوة أعلي لدي سلطان حفصى جديد وهو أبو زكرياء بن إبراهيم الطموح[٢]، يدعوه إلي المطالبة بملك بني حفص لأنه أولي بذلك من عمه، فأستجاب الأمير اللاجئ لتحريضه وإغرائه، وبدأ التحرك إلي تونس، فاقترض الأموال من تجار بجاية لإعداد حملته وعاش أبهة المُلك واصطنع الأولياء وجمع الرجال[٣] وهنا تحول الوزير من مساند للسلطان إلي محالف لخصمه وذلك من أجل النفوذ والمناصب، علي العكس ظل الوزير الأكبر الفازازي يحمل الجميل لدي السلطان الحفصي في كل شيء، بسبب ما اتسم به هذا الوزير من شجاعة في القتال والدفاع عن السلطان حتى توفي بعدما قمع ثورة بلاد الجريد، وهو في طريق عودته في ذي القعدة ٦٩٣هـ ودفن برادس[٤]، وترك موته فراغًا كبيرًا لدي السلطان أبى عمر الحفصي[٥].

وفي عهد السلطان أبى عصيدة (٦٩٤هـ - ٧٩هـ / ١٢٩٥م - ١٣١٨م) سيطر الوزير الأكبر ابن اللحياني علي أبى عصيدة وجعله أيضًا يرفض الصلح

(١) برنشفيك: المصدر السابق، ج ١، ص ١٢١.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٩٩ Mas. latrie. op cit p.١٤٦

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٩٩، المطوي: السلطنة، ص ٢٦٨.

Mas. latrie: op cit p. ١٤٦.

(٤) الزركشي: المصدر السابق، ص ٣٥، المطوي: السلطنة، ص ٢٨٠.

(٥) المطوي: السلطنة، ص ٢٨٠.

مع سلطان بجاية[١] وأبرم المعاهدات بنفسه مع الدول الأوروبية[٢] وبلغت سيطرة الوزير ابن اللحياني علي السلطان الطفل الضعيف أن سلطان بني مرين[٣] كان يعتبره أولي بالمراسلة من السلطان أبى عصيدة نفسه[٤] وبالغ في استبداده بالسلطان عندما تخلي عن سلطانة وفضل الهروب من الأوضاع السيئة في الدولة وواصل الاستبداد لدرجة أنه عين أبا يعقوب بن يزدوين بدلًا منه كبيرًا للوزراء عندما هرب بحجة تأدية فريضة الحج[٥].

وبعد وفاة السلطان أبى عصيدة اشتد الوزراء في التنافس فيما بينهم من أجل السيطرة علي السلطان المعتوة أبى بكر عبد الرحمن[٦] الذي جعل ابن ازرقان وزيرًا علي قيادة الجيش وجعل ابن الدباغ وزيرًا للقلم وحاجبًا ولعب الوزيران دورهما من أجل أخذ السلطة[٧] والسيطرة علي هذا السلطان وهذا يدل علي ما وصل إليه الوزراء من إستبداد والسلطان من ضعف فهو لم يخرج لمحاربة أبى البقاء خالد بل خرج وزيره ابن أذرقان بالجيش، واستمر هذا الوزير يحارب جيوش أبى البقاء خالد يومًا كاملًا مدافعًا عن العاصمة وسلطانه الضعيف ولكنه قُتل ومثل الأعراب بجثته وحرقوها[٨]. وهنا نجد

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٢٠، المطوي: السلطنة، ص ٢٩٥.

(٢) برنشفيك: المرجع السابق، ج١، ص ١٥٨١٤٨ .Mas latrie: op cit p.

(٣) كان سطان بنو مرين هو السلطان أبو يوسف بن يعقوب المريني.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج٦، ج ١٢، ص ٧١٥، والمطوي: السلطنة، ص ٢٩٣.

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣١.

(٦) المطوي: السلطنة، ص ٣٠٧.

(٧) الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٨.

(٨) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٤.

أن الوزير لم يهرب من السلطان الضعيف ولكنه استمات في الدفاع ومحاربة الجيش الغازي وذلك ليس من أجل السلطان ولكن من أجل نفسه والمحافظة علي منصبه.

ابن غمر وسيطرته على السلطان أبى بكر الحفصى فى بجايه:

كانت شخصية الوزير الحاجب ابن غمر تفرض نفسها على السلطان أبى بكر الحفصى فى بجايه، حيث ازدادت سطوته واستبداده بالسلطان أبى بكر وسيطر على جميع مقاليد الحكم، وكان صاحب النفوذ الأول[١] وان زمام الحكم وسلطانه الضعيف الجالس عليه تحت قبضة يده وسلطانه لايحرك ساكنًا[٢] فقام ابن غمربإبعاد الشخصيات التى سيطرت على سلطانه أثناء غيابه، فبدأ يوغر صدر السلطان عليهم ويحذره من استبداد حسن بن إبراهيم بن ثابت واستقلاله بقسطنطينة[٣] وبالغ فى ذلك الاستبداد لدرجة انه سيطر على جميع قرارات سلطانه الذى أدرك أنه ليس له حيلة ولا قوة مع ذلك الوزير القوى المحنك، فتعرض لمؤمرات ولكنه كشفها ونكل وعذب القائمين عليها من الأهالى[٤].

---

(١) المصدر السابق: مج٦، ج١١٢، ص٧٢٤.

(٢) نفس المصدر السابق: مج٦، ص١٢، ص٧٢٤-٧٢٤، ٧٢٦.

(٣) المصدر السابق: ص٦، ص١١٢، ص٧٢٦.

(٤) ابن خلدون:العبر، ج ٦، ج ١٢، ص ٧٤٧، المطوى:السلطنة، ص ٣٢٣، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٦١، ١٦٢وعندما استولى السلطان أبو بكر الحفصى على العاصمة تونس استمر ضعفه وسيطره حاجبه الوزير ابن غمر عليه، فظل الوزير الحاجب مستبدًا ببجايه ملتقيًا بذكر اسم السلطان الحفصى فى الخطبه ولكن ضرب اسمه على السكه دون ان

واستمر ضعف السلاطين واستمر معه سيطره الوزراء عليهم حيث كان ابن اللحيانى يناهز السبعين من عمره، مسالمًا لايتصف بالحزم مع الاوضاع التى كانت تعيشها البلاد[١] ولم يستطع الاستمرار فى السلطه وعندما علم بتحرك سلطان قسطنطينة وبجايه أبى بكر الحفصى فهرب من المواجهة الى قابس[٢] وترك بها بعض وزرائه الذين أخرجوا ابنه محمد أبا ضربه من سجن القاضى ابن عبدالرفيع[٣] وسيطر عليه الوزراء وعلى الاموال والجيش وجميع الأمور الإدارية[٤] وظل الوزراء و الحجاب مسيطرين على سلاطينهم طيلة هذه الفتره بسبب شدة ضعف السلاطين وصغر سنهم وقلة خبرتهم العسكرية والصراع بينهم على الحكم وظهور أكثر من سلطان[٥] حتى جاء الغزو المرينى لتونس بقياده السلطان أبى عنان المرينى[٦].

يقدر سلطانه على عزله من منصبه. راجع ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٤٦ – ٧٤٧.

(١) الزركشى: المصدر السابق، ص ٦٢

(٢) بن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٤٩، الزركشى: المصدر السابق، ص؛ ابن القنفذ: الفارسية، ص٩٢.

(٣) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص٧٥٠؛ المطوى: السلطنة، ص ٣٢٧

(٤) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٥٠.

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص؛ السلاوى: الاستقصا، ج ٣، ص ١٥٤؛ مقديش: نزهة القطار، م١، ص٥٢٦؛ القلقشندى: صبح الأعشى: ج ٥، ص١٢٦، الزركشى، المصدر السابق، ص٧٧-٨٧.

(٦) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ، السلاوى: الاستقصا، ج ٣، ص ١٥٥،الزركشى:المصدر السابق، ص ٨٢؛ مقديش: نزهة القطار، م١، ص ٥٢٧،عاشور أبو شامه:المرجع السابق، ص ١٩٤؛ إبراهيم بركات:المغرب عبرالتاريخ، ج ٢، ص ٣٩

واستمر الوزراء فى الاستبداد بالسلاطين الصغار الضعاف الذين لايملكون القرار حيث سيطر الوزيران العبد المعتق منصور[١] وابن المالق على السلطان أبى اسحاق الذى خضع تمامًا للوزيرين الذين استبدا بجميع شئون البلاد حسب هواهما دون رادع لهما من أحد[٢] بعد ان خلا لهم الامر بعدما أوقعا بين الوزير الحاجب محمد بن تافراجين (الابن) وبين السلطان أبى اسحاق بسبب تخطى السلطان لسلطة محمد بن تافراجين واتصاله بجباة الاموال والقبائل مباشرة دون الرجوع الى الوزير الحاجب[٣] فعمل الوزيران العلج منصور وابن المالق على توسيع شقة الخلاف بين السلطان ومحمد بن تفراجين الذى لم يجد مخرج سوى الهرب من سلطانه ووزرائه المستبدين به فهرب الى السلطان أبى العباس أحمد المنافس لأبى إسحاق إبراهيم وذلك من أجل أن يمارس نفوذه وسيطرته على السلطان أبى العباس أحمد والسلطة الحفصية عند الاستيلاء على تونس[٤] ولم يفكر فى الهرب فقط بل عمل على إثاره قبائل أولاد مهلهل واستمالتهم إلى جانب السلطان أبى العباس أحمد وعملوا على تحريضه للاستيلاء على تونس[٥] وعلى قلد السلطان أبى العباس أحمد محمد بن تفراجين قيادة جيوشه لحصار العاصمة تونس

(١) وهنا نجد ما وصلت اليه الدوله الحفصية من ضعف وانهيار بين جعل عبدًا من العلوج يتولى اكبر المناصب فى دوله اسلامية كبرى وهو منصب الوزير، بل اصبح هو المتصرف والمتحكم فى شئون البلاد.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص٨٥٦.

(٣) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٥٧.

(٤) المطوى:السلطنة: ص ٤٧٠.

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦،ج١٢، ص ٨٥٧، الزركشى: المصدر السابق، ص١٠٥.

و الاستيلاء عليها[١].

وعندما توفى أبو إسحاق إبراهيم فجأة فى العشرين من رجب ٧٧٠هـ /فبراير ١٣٦٩م، قام الوزيران العلج المعتق منصور والحاجب الوزير أحمد بن إبراهيم بن المالقى بتعيين ومبايعة الطفل الصغير أبى البقاء خالد للسلطة الحفصية واستمروا فى الاستبداد به، واستطاعا إحكام القبضة على البلاد، ولم يكن لهذا السلطان الطفل أى دور يذكر بل كانت الأحداث كلها بيد هذين الوزيران[٢] وأخذ الوزيران يسيريان شئون البلاد حسب هواهما[٣] وقتلا كل من يحاول منافستهم فى الحكم ويقاسمهما السلطة والنفوذ والسيطرة على السلطان الطفل فقتلوا القاضى محمد بن خلف الله لخلافات قديمة كانت بينهم بعد ان وضع فى السجن مع محمد بن رافع وأحكموا مؤامرة من أجل القضاء عليه، حيث أرسلا لهما فى سجنهما من يساعدهما على الهرب ثم قبضوا عليهما.

وأمر الوزير ابن المالقى بقتلهما خنقًا وطوى آخر صفحاتهما من التاريخ[٤] ولم يترك الوزيران للسلطان الضعيف الطفل شيئًا من الحكم[٥] فنهبا الأموال

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦،ج١٢، ص ٨٥٧، الزركشى: المصدر السابق، ص ١٠٣، المطوى: السلطنة، ص٤٧١

(٢) ابن خلدون:العبر، مج٦، ج ١٢، ص٨٦٤، ابن القنفذ: الفارسية، ص، الزركشى: المصدر السابق، ص ١٠٥، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢١٧، المطوى: السلطنة، ص ٤٧٣.

(٣) المطوى: السلطنة، ص٤٧٣.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦،ج ١٢، ص ٨٦٥، الزركشى: المصدر السابق، ص ١٠٤، المطوى: السلطنة، ص ٤٧٣.

(٥) ابن دينار: المصدر السابق، ص ١٧٢.

وسيطرا على البلاد فضعفت هيبة السلطان الحفصى[١] ومن شدة سيطرتهما على السلطان الضعيف أفسدا علاقات الدولة مع قبائل الكعوب وزعيمهم منصور بن حمزة بعد أن وعداه بالمشاركة والسيطرة على السلطان والبلاد ولكنهما خدعاه بعد أن استقرت لهما الأمور فسخط عليهم فارتحل هو وقومه عن حماية العاصمة وتوجهوا الى أبى العباس أحمد صاحب قسنطينة وحرضوه على غزو تونس واعتلاء عرش أجداده[٢].

وعندما استولى السلطان أبو العباس أحمد على تونس بعد الحصار واقتحامها[٣] تخلص من الوزراء المفسدين المستبدين بالسلطان الطفل وقام بإعادة الهدوء والأمن والأمان والطمأنينة، وأخمد الفتنة بالدولة الحفصية وهدأ من روعة وغضب الناس ودخل إلى قصره وحكم الدولة الحفصية بعد الاضطرابات وسيطرة واستبداد الوزراء[٤] وكان السلطان أبو العباس قد بلغ سن الأربعين عند دخوله تونس وقد تمرس على الحكم والإدارة مدة طويلة ساعدته للقيام بدور فعال فى الحكم الحفصى واعتماده على رجال دولته الوافدين معه من غرب الدولة الحفصية، وقدم لخدمته الوزير أبا اسحاق إبراهيم الهنتاتى، وشقيقه الشيخ الرئيس أبا عبدالله محمد وزير الانشاء الذى

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٦٥، ابن أبى دينار: المصدر السابق ص ١٧٢، الزركشى: المصدر السابق، ص ١٠٥.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٦٥، المطوى:السلطنة، ص ٤٧٥

(٣) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١١٢، ص ٨٦٧، الزركشى: المصدر السابق، ص ١٠٦

(٤) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٦٨، الزركشى:المصدر السابق، ص ١٠٦.

كان قائما بالقصبة وتخلص من القاتل ابي زكرياء بن وجاد الكومى القسطنطينى[١].

وعقد على الحجابة للوزير الحاجب أبى يحيى زكرياء واليه على عنابه وكان قائدًا للجيش وكانت علاقته بالسلطان أبى العباس أحمد قوية[٢] ولكن السلطان لم ينس دور ابن تافراجين الابن فى الاستيلاء على تونس فجعله رديفًا لأخيه الأمير أبى يجى زكرياء مكافأة على خدماته له[٣] ولم يفرد له منصبًا سياسيًا خاصًا به. وكان هذا المنصب دون آمال ابن تافراجين ومطامعه[٤] مما جعله يفكر فى الهرب وتدهورت العلاقات بين الحاجب محمد بن تافراجين والسلطان أبى العباس أحمد بسبب مابلغه وزراؤه به من أن محمد ابن تافراجين اتفق سرًا مع العرب فى الخروج عليه ومهاجمة الحاضرة تونس[٥] فأمر السلطان بالقبض عليه وإرساله الى قسنطينة وظل معتقلا بها الى أن توفى فى سنة ٧٧٨هـ/١٣٧٦ـ١٣٧٧م[٦].

وهنا نلاحظ قوة السلطان أبى العباس أحمد ضد أطماع وزرائه فكان محمد

(١) الزركشى:المصدر السابق، ص ١٠٦ – ١٠٧، ابن القنفذ: الفارسيه، ص١٧٨، ابن أبى الضياف:المصدر السابق، ص ٢٢٨ق.

(٢) الزركشى:المصدر السابق، ص١٠٦، ابن الشماع:المصدر السابق: ص ١١٠

(٣) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص، الزركشى: المصدر السابق، ص ١٠٦، ابن الشماع:المصدر السابق، ص١١٠، برنشفيك:المرجع السابق، ج ١، ص ٢١٨-٢١٩

(٤) المطوى:السلطنة، ص ٤٨٤

(٥) ابن الشماع:المصدر السابق، ص ١١٠، ابن أبى دينار:المصدر السابق، ص ١٧٣

(٦) ابن الشماع:المصدرالسابق ص ١١٠؛ السراج: المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٨٠؛ برنشفيك: المرجع السابق، ج١، ص٢٢٠-٢٢١

بن تافراجين (الابن) عبرة لمن تسول له نفسه فى الخروج على السلطان، وبالتالى رضخ جميع وزراؤه لأوامره مما مكنه من السيطرة على البلاد بمساعدة وزرائه.

وجاء من بعده ابنه أبو فارس عبدالعزيز من أعظم سلاطين بنى حفص فى الطور الثانى للدوله الحفصيه وسيطر على وزرائه وجعلهم موضع تنفيذ للقراراته حيث رتب أحوال البلاد، وأعطى الأموال، وأخذ بالشدة والحزم فى دولته وجعل كل وزير على خطته التى تتناسب معه ويصلح لها فاستقامت الأمور على احسن وجه[١] وأخذ حذره من كل من يشك فى نواياه باتجاه دولته، وضرب على أيدى المفسدين[٢] واصبح وزراؤه طواعيه له فقاموا بالعمل على تحقيق اهداف السلطان ضد الخارجين عليه للعمل على وحدة البلاد مثلما قام به وزيره الاكبر محمد بن عبدالعزيز فى استرداد قسنطينة[٣].

وعندما توفى السلطان أبو فارس عبدالعزيز فى العاشر من ذى الحجة ٨٣٧/ الثامن عشر من يوليه ١٤٣٤ م استطاع الوزراء من تمكين محمد المنتصر من الحكم والتربع على عرش السلطنة الحفصية على الرغم من صغر سنه[٤] وقام السلطان محمد المنتصر بتغير رجال دولته ومنهم وزرائه وإبعاد المشبوه فيهم فاعتقل الوزير الأكبر الشيخ محمد بن عبدالعزيز بعد هروبه بمساعده

(١) الزركشى المصدرالسابق، ص١١٦؛ ابن القنفذ: الفارسية، ص١٩٠؛ ابن الشماع: المصدر السابق، ص ١١٢-١١٣.

(٢) ابن القنفذ: الفارسية، ص١٨٩-١٩٠، ابن أبى دينار: المصدر السابق، ص١٧٥.

(٣) الزركشى: امصدر السابق، ص ١٢٧

(٤) الزركشى:المصدر السابق، ص ١٣١-١٣٢

أعراب جنوب الوطن القبلى، لأنه شك فى نواياه من حيث الثورة ضده ومحاولته الاستيلاء على الحكم[١] وعلى الرغم من تغيراته الاداريه التى احدثها وحملة الاعتقالات التى قام بها ضد أقاربه وإخوته والوزراء السابقين لم يتغير شيئ فى الوضع بل زادت حالات التزمر فى البلاد فقام هو وزراؤه بقيادة جيش عظيم من أجل تفقد البلاد وتهذيب الأوطان[٢] والقضاء على جميع الأعراب المفسدين[٣].

واستمرت حالة السيطرة على الوزراء وعدم استبدادهم بالحكم فى ظل توالى سلاطين عظماء للدولة الحفصية كانت لهم السيطره على مقاليد السلطة واصبح وزراؤهم وزراء تنفيذ، فنجد السلطان أبا عمرو عثمان (٨٣٩ - ٨٩٢هـ / ١٤٣٥ - ١٤٨٩م) الذى يعتبر آخر سلاطين بنى حفص العظماء الذى سار على نهج سابقيه حيث التحكم فى السلطة المركزية بيديه دون الآخرين فأبقى على كبار رجال الدولة من الوزراء والقادة والولاة دون تغير[٤].

ونجده يستخدم الشدة مع وزرائه ومع من تسول له نفسه الخروج على السلطان ورفض أوامره فأخذ كبير الوزراء محمد الهلالى عبرة لباقى الوزراء

---

(١) الزركشى: المصدر السابق، ص١٣٢؛ المطوى:السلطنه، ص ٦٠٣؛ برنشفيك: المرجع السابق، ص٢٧٠.

(٢) الزركشى: المصدر السابق، ص ١٣٢، ابن أبى الضياف، المصدر السابق، ص ٢٣٤

(٣) ابن الشماع:المصدر السابق، ص ١٢١، ابن أبى دينار: المصدر السابق، م ١٧٧، ص٢٧٠-٢٧١.

(٤) ابن أبى الضياف: المصدر السابق، ص ٢٣٥.

حيث امر باعتقاله فى أواخر جمادى الاولى ٨٣٩ هـ ديسمبر ١٤٣٥ م وعوضه بوزير آخر وهو أبو عثمان سعيد الزريزر[١].

ولم يكن موقف السلطان أبى عمرو عثمان مع وزير ماليتة أقل من موقفه مع وزيره الاكبر محمد الهلالى، حيث قام بأعفاء وزير الماليه (الجباية) من مهامه وأودعه فى السجن مع ابنيه وجرده من ممتلكاته، ثم أعفى قائد بجاية على بن مرزوق من مهامه[٢]، وعهد بخطة وزارة الجباية الى الفقيه أحمد بن إبراهيم السليمانى الذى بقى فى هذا المنصب حوالى اربعين سنة متمتعًا بثقة السلطان كما عوض السلطان من توفي من وزرائه بغيرهم من الأكفاء[٣].

فكان السلطان أبو عمرو عثمان دائمًا شديدًا على وزرائه لم يسمح لأحد منهم بالخروج عن طاعته فكانت اوامره قيد التنفيذ لذلك استطاع هذا السلطان الذى يعتبر خاتمة السلاطين العظماء للدولة الحفصية ، حيث استطاع بمساعده وزراؤه المنفذين لسياسته من تحقيق اهدافه بإحكام القبضة على الدوله كلها، وعندما استفحل نفوذ القائد نبيل وبدأ يتطاول على السلطه الحفصية قام السلطان بتنكيل به فى الحادى عشر من ربيع الاول سنة ٨٥٧ هـ/ابريل ١٤٥٣م، فقبض عليه وعلى اولاده وخدمه واعتقلهم بسجن القصبه وأرسل أبو الفضل بن أبى هلال

(١) برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٧٨ نلاحظ انه فى نهايه الدولة الحفصية قد اختلطت الفاظ لمناصب والوظائف فيما بينها، حيث تداخلت مهام كل من وظائف الوزير مع الحاجب مع المزوار وتلقها جميعا فكانت من اهم مهام الوزراء.

(٢) برنشفيك:المرجع السابق، ج١، ص٢٧٨.

(٣) ابن الشماع:المصدر السابق، ص١٢٦؛ الزركشى: المصدر السابق، ص ١٣٥-١٣٩؛ برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٧٨.

على رأس جيش واعتقل ابن القائد نبيل[١] فى عنابه وعاد به إلى تونس وحبسه مع والده وإخوته وأمر السلطان بجمع أموال القائد نبيل واولاده ورجاله من جواهر وعقارات وآثاث وظل القائد فى السجن لمده شهرين حيث وافاه الأجل فى السجن كمدًا وقسوة، ودفن بالمقبرة الواقعة بجوار المدرسة الموجودة شرقى باب ينتجمى احد ابواب القصبة[٢].

وبعد السلطان أبي عمرو عثمان دخلت البلاد الحفصية فى دوامة من الفوضى والحروب بين المتنازعين على السلطة، ولم تذكر المصادر المعنية أى شىء عن رجال الدوله وخاصة الوزراء ولكن فى عهد السلطان أبى عبدالله محمد نجد انه قد قتل أحد وزرائه هو الغريب الذى ارسله رسولًا الى سلطان مصر الغورى، وخاف السلطان من غدر هذا الوزير فقتله غدرًا عند باب السويقه عام ٩١٤هـ[٣]، وهذا يعنى أن السلطان أباعبدالله محمد كان شديدًا على وزرائه، وهناك ايضًا ما يثبت أنه أرسل وزيرا لجند على رأس جيش لمحاربة النصارى وهذا الوزير هو القائد محمد أبو حداد الذى كان من اكبر قواده وكانت له صلاحيات الوزارة[٤].

ودخلت البلاد من بعده فى صراع مع الأتراك والنصارى والحروب بين اهل تونس وبين الغزاه وتمكن النصارى من المشاركة فى الحكم فى عهد السلطان أبى محمد الحسن بن أبى عبدالله محمد الذى استوزر الحسن محمد

(١) الزركشى: المصدر السابق، ص ت١٣٩؛برنشفيك: المرجع السابق، ج١، ص٢٧٨.
(٢) الزركشى: المصدر السابق، ص ١٤٧؛ المطوى:السلطنه، ص ٢٢٥-٢٢٦.
(٣) ابن أبى دينار:المصدر السابق، ص ١٨٢.
(٤) المصدر السابق نفسه ونفس الصفحة

السليطين بن عبدالملك ولكن السلطان ووزيره استبدا بهم النصارى حيث شاركهما فى الحكم النصرانى جوان بن جاكو ووصلت البلاد الحفصية الى قمة الإنحطاط[١]، وتوالت على البلاد الأزمات حتى استولى عليها العثمانيون وانتهت الدولة الحفصية وزال نجمها.

وخلاصة القول ان العلاقة بين الوزير والسلطان كانت قائمة على قوة السلطان، فالسلاطين الاقوياء رضخ لهم الوزراء وقاموا بتنفيذ سياستهم على أكمل وجه، وكان السلاطين العظماء يبطشون بكل وزير يحاول أن يخلع ثوب الطاعة والولاء فكانت نهاينتهم القتل وتصفية أموالهم، وبالتالى سيطر السلاطين على البلاد وامتدت سلطتهم على جميع الولايات بفضل الوزراء المخلصين لهم، وازدهرت البلاد فى جميع المجالات وقدمت القبائل فروض الطاعة سواء بالسياسة او الحروب، على العكس من السلاطين الضعاف أو السلاطين الصغار الصبية حيث استبد الوزراء بالسلاطين واصبح السلاطين ألعوبه فى يد الوزراء الحفصيين، وصارت كل أمور الدولة فى يد الوزراء والحجاب وسيطروا على أموال البلاد، وتحكموا فى العباد وبلغت الدولة فى عهدهم أشد الانحطاط.

(١) المصدر السابق: ص ١٩٠ وما بعده من الصفحات

الدور السياسي للوزراء في الحروب الداخلية والفتن

لعب الوزراء دورًا هامًا في الحروب الحفصية الداخلية والفتن والثورات، حيث تحرك السلطان أبو يحيي زكرياء بجيوشه بمرافقة وزرائه في سنة ثمان وعشرين وستمائة من أجل الاستيلاء علي قسطنطينية، فنزلوا بساحتها وحاصروها أيامًا، واستطاعوا دخولها بمساعدة ابن علناس، وقبضوا علي واليها، وولوا عليها ابن النعمان(١)، وتحركوا إلي بجاية ففتحوها وقبضوا علي واليها وصيرهما إلي المهدية معتقلين في البحر وبعثوا بأهلهما إلي الأندلس، وشمل سخط السلطان أبى يحيي زكرياء وزيره ميمون بن موسي فأخذ أمواله وبعث به إلي قابس واعتقله هناك مدة طويلة، ثم تخلص منه نهائيًا بنقله من الأراضي الأفريقية " التونسية " إلي الإسكندرية واستوزر بدلًا منه يحيي بن أبى العلاء بن جامع(٢).

وفي عام ٦٣٦هـ خرج السلطان أبو زكرياء يحيي ومعه وزراؤه من أجل تأديب قبائل زناته بالمغرب الأوسط، واستطاعوا تأمينها واخضوعها تحت طاعته، وتحركوا إلي بجاية ومنها إلي الجزائر، واستطاعوا السيطرة عليها وولي السلطان عليها أحد رجاله(٣). وكان السلطان أبو زكرياء الحفصي له مطامحه من أجل الاستيلاء علي ملك بني عبد المؤمن في مراكش من أجل الاستقلال بالدعوة ولكنه وجد الطريق أمامه مسدودًا في تلمسان يقوده يغمراس بن زيان وكان ينتظر

(١) الزركشي: المصدر السابق، ص٢٥

(٢) نفس المصدر السابق: ص٢٥، ٢٦

(٣) نفس المصدر السابق: ص٢٦

الفرصة[١] التي سنحت من أجل القضاء علي بني زيان وينطلق إلي مراكش[٢].

وخرج أبو زكرياء ووزراؤه في شوال سنة ٦٣٩هـ / ١٢٤٢م قاصدينً تلمسان بعدما أراحوا الجنود وضموا إليهم قبائل رياح[٣] وسليم[٤] وبلغ الجيش أربعة وستين ألفًا من الفرسان بفضل وزرائه وكبار رجال دولته[٥] وفرضوا الحصار علي تلمسان، ودارت عدة معارك حولها[٦]، ولكن استطاع يغمراسن الهروب عن طريق ثغرة في الحصار، هو وأهله وحاشيته بعد أن قتل

(١) سنحت هذه الفرصة عندما جاء وفد من بني توجين وبني منديل يستغيثوا أبى زكرياء ضد يغمراسن ويعدوه بالطاعة والانقياد ومساعدته في السيطرة علي تلمسان لذلك ازدادت أماله في السيطرة عليها واعد العدة والجيش وتحرك إليهم. راجع ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١١، ص١٥٠، المطوي: السلطنة، ص١٤٢

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٦٠٨.

(٣) قبائل رياح: من اكبر قبائل هلال وأكثرهم جمعا عند دخولهم افريقية ومن بطونهم عمرو ومر داس والدواوده. ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١١، ص٦٩ – ٧٣.

(٤) قبائل سليم: من أوسع واكبر بطون مضر، أكثرهم جموعا، وهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة ابن خصفه من قبس، ومن بطونهم بأفريقية زغب، ورياب وهبيب وعوف، راجع ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١١، ص١٤١ – ١٥٠.

(٥) الزركشي: المصدر السابق، ص ٢٥، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٩، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص٦٠٨، المطوي: السلطنة، ص ١٤٢، ابن الشماع: المصدر السابق، ص٥٩ ابن أبى دينار، المصدر السابق، ص ١٥٦.

(٦) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص٦٠٩، وقيل الحصار إثناء سير الجيش الحفصي إلي تلمسان قام الأعراب في الجيش بالتثاقل والتكاسل عن متابعة السير مع أبى زكرياءد ولبكنه استطاع إن يقدموا علي المشاركة في حملته عن طريق العطايا والوعود، راجع ابن خلدون: العبر، مج ٦، ص٦٠٩، المطوي: السلطنة الحفصيه، ص١٤٢.

من جنود أبى زكرياء عددًا كبيرًا[١] ودخل أبو زكرياء ووزراؤه المدينة من باب كشوطه في شهر ربيع الأول من سنة ٦٤٠هـ / يوليه ١٢٤٢م[٢] فقابلته صعوبات بعد الاستيلاء علي المدينة، وفي النهاية تفاوض مع يغمراسن بتوليته تلمسان علي أن يعترف بسلطة أبى زكرياء الحفصي عليه[٣]، وأثناء عودة السلطان أبى زكرياء الحفصي إلي تونس حذره وزراؤه وكبار رجال دولته من يغمراسن وعدم الثقة فيه، ونصحوه بإقامة منافسين له من زناته حتى لا يخلوا له المكان وتزداد سطوته ونفوذه.

ويكون الأعراب عقبة أمامه تمنعه من أهدافه الغادرة فاقتنع أبو زكرياء: من نصيحتهم، وعين بعض الأمراء منهم عبد القوي بن عطية التوجيني، والعباس بن منديل المغراوي[٤].

دور الوزير أبى عبد الله بن أبى الحسين في القضاء على ثورة أبى إسحاق:

وفي عهد السلطان المستنصر لم تكن ثورة الوزير بن أبى مهدي هي الأخيرة بل توالت الثورات المتتالية التي واجهت وهزت استقرار الدولة الحفصية، فبعد

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ص٦٠٩، المطوي: السلطنة، ص١٤٢، الدولاتلي: مدينة تونس، ص ٦٠.

(٢) الزركشي: المصدر السابق، ص٢٩، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ص.

(٣) الزركشي المصدر السابق، ص٢٩، ابن خلدون: العبر، ج ٦، ص٦١٠، من الصعوبات التي واجهت أبو زكرياء في تلمسان هروب بغمراس وهروبه معه بالإضافة إن زعمائه لن تقبل والي من قواد أبى زكرياء ليكون مفروض عليهم، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ص ٦١٠.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص٦١٠، المطوي: السلطنة، ص ١٤٦.

أن قضي المستنصر بمساعدة ووزرائه علي ثورة ابن المهدي، وقع الخلاف والشقاق بين أبناء السلطة الحفصية الحاكمة فقد دب الخلاف بين السلطان المستنصر وأخيه أبى إسحاق إبراهيم[١]، حيث كان أبو إسحاق إبراهيم لا تعجبه تصرفات أخيه السيئة، فأخذ يشكو سوء خلقه وتصرفاته، وتحدث بهذا الأمر إلي خاصته ورجاله، فعلم السلطان المستنصر بهذه الأحاديث، فخشي ثورة أخيه والخروج عليه، فشدد عليه الحصار والمراقبة[٢] وبالفعل حدث ما كان يخشاه المستنصر، ففي سنة ٦٥١هـ هرب الأمير أبو إسحاق من معسكره، ولحق بالدواوده فبايعوه بروايا من نواحي نقاوس(*) واجتمعوا علي أمره.

واتسع نطاق الثورة بانضمام القائد ظافر مولي أبيه الهارب، فايده مقابل أن يتولي وزارته[٣]، وتحركوا إلي بسكره(*) وحاصروها بعد أن تجمع الناس من

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص٦٣١-٦٣٢، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١١٨

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص٦٣٢، ابن القنفذ: الفارسية، ص١١٨، المطوي: السلطنة، ص١٧٩

(*) نقاوس: مدينة صغيرة كثيرة الأشجار والبساتين، وأكثر فواكهها الجوز ومنها يتجهز به إلي ما جاورها من الأقطار وفيها سوق ومعايش كثيرة راجح الإدريسي: نزهة المشتاق، ج ١، ص ٢٦٤، ٢٧٨، مجهول الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق، سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، أفاق عربية، دار النشر المغربية ١٩٨٦، ص ١٧٢، البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية، ص٥٠، الحميري، الروض العطار، ص٥٧٩

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص٦٣٢، المطوي: السلطنة، ص ١٧٩

(*) بسكره هي من بلاد الزاب بأرض المغرب، وهي قاعدة تلك البلاد، وهي كبيرة كثيرة النخيل والزيتون وأصناف الثمار وعليها سور وخنادق وبها جامع ومساجد كثيرة وحمامات وجواليها كثير من البساتين وبها أنواع كثيرة من التمر راجع الإدريسي، نزهة الشقاق، ج ١، ص ٢٦٤، مجهول الاستبصار ص ١٧٣ – ١٧٤، البكري: المغرب، ص ٥١، ٥٢،

حوله، وتوسعت دائرة نفوذه، ولكن هذه المدينة حاولت منعه من دخولها وقاموا قواته التي توطئ معهم فضل بن علي بن الحسيني بن مزني من مشايخ بسكره حيث نادى بإشهار طاعتهم، ولكن أهل المدينة تأمروا عليه ليقتلوه ففر إلي أبى إسحاق إبراهيم، ولكن لم يمر وقت طويل حتى بايع أهل بسكره أبا إسحاق وقدموا له فروض الطاعة والولاء[١] بعد أن ألقوا السلاح وبايعوه[٢]، وتضخمت قواته وازداد نفوذه في المنطقة، وتحرك إلي قابس ونزلها واستولي عليها، ووفدت إليه القبائل العربية من كل مكان، وعظمت قوة أبى إسحاق ورجاله، واستشعر السلطان المستنصر بالخطر القادم عليه وعلي دولته، فبادر علي وجه السرعة بالقبض علي أولاد أبى إسحاق وحبسهم بالقصبة [٣]، وجعل أمر أبى إسحاق إلي وزيره القوي الشجاع ابن أبى الحسين من أجل القضاء علي هذه الفتنة العارمة التي استفحل أمرها، ولكن الوزير ابن أبى الحسين كان شديد الذكاء والدهاء من أجل القضاء علي الثائرين، بعد أن فشلت القوة العسكرية ضدهم وذلك بسبب استفحال قواتهم، وفكر الوزير بأنه من الصعب هزيمتهم عسكريًا[٤] طالما كان الثائر إبراهيم متحالفًا مع القائد ظافر مما جعل أي محاولة حربية ليست في صالح المستنصر ففطن الوزير إلي إفساد العلاقات الحسنة بين الثائر وقائده محذرًا أخت أبى إسحاق من بغدر

الحميري، الروض المعطار، ص ١١٣ – ١١٤.

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٦٣٢، ابن القنفذ: الفارسية، ص١١٨، المطوي: السلطنة، ص٦٨

(٢) المطوي: السلطنة، ص ١٨٠

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٦٣٢، المطوي: السلطنة، ص ١٨٠.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص٦٣٢، المطوي: السلطنة، ص ١٨٠

القائد ظافر، فأرسلت إلي أخيها بذلك، فتنكر ظافر ورجاله وفارقهم خوفًا من خيانتهم والانضمام إلي المستنصر، وسارا إلي المغرب ثم لحق بالأندلس فنزل علي السلطان محمد بن الأحمر فأكرم وفلدته[١]، وهكذا كان للوزير دور هام وذكي في القضاء علي هذه القوة الطامعة دون اللجوء إلي القوة العسكرية، وهذا دورًا إيجابي هام للوزير من أجل تدعيم وجود الدولة الحفصية.

دور الوزير أبى عبد الله بن أبى الحسين في القضاء على ابن النعمان:

كان بنو النعمان هؤلاء من مشيخة هنتانة ورؤسائهم وبلغوا علي المناصب في عهد الأمير أبى زكرياء الحفصي لدرجة أن جعل لهم منطقة قسطنطينية(*) تحت ولايتهم[٢] يستعملون عليها من أهله من يشاءون ولهم حرية التصرف في ذلك وقد استمروا علي ذلك الأمر حتى أوائل عهد السلطان المستنصر الحفصي[٣]، وكان كبير بنى النعمان هو أبو علي ومن بعده ميمون وعبد

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٦٣٢، ابن القنفذ: الفارسية، ص١٨٨ بعد هزيمة أبى إسحاق إبراهيم إلي الأندلس شارك في الجهاد ضد النصارى وابلي بلاء حسنا، وظل أخيه السلطان المستنصر يهادي ابن الأحمر ويرسل له كبار رجال دولته من أجل مصافحته في شأن أخيه إلي أن توفي. راجع ابن خلدون: العبر، مج ٧، ج ١٢، ص٦٣٢ -٦٣٣، العامرى: تاريخ المغرب، ص ٨٠ هامش

(*) مدينة فسنطينه: مدينة وقلعة كبيره جدا حصينة عالية لا يصلها الطير إلا بجهد، يحيط بها خندق، تقع علي جبل عظيم، والخندق يدور حول المدينة من ثلاث جوانب تنتسر بها البساتين والزرع. راجع: مجهول الاستبصار، ص ١٩٥- ١٩٦، الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ٢٦٦، الحميري، المعطار، ص ٤٨٠ – ٤٨١، العامري، تاريخ المغرب، ص ٢١ هامش.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٦٣٣، المطوي: السلطنة، ص ١٨٣.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٦٣٣، المطوي: السلطنة، ص ١٨٣.

الواحد[١] وعندما قامت ثورة الوزير ابن أبى مهدي ومحمد اللحياني، وقفوا مع الثائرين ضد المستنصر[٢] مما أثر علي علاقتهم مع السلطان حيث تدهورت لدرجة أن ما كاد المستنصر يقضي علي ثورة الوزير ابن مهدي وابن اللحياني حتى خرج هو سنة (٦٥١هـ) وبصحبته كبار رجال دولته ووزرائه ومنهم الوزير أبى عبد الله بن الحسين وقبضوا علي رؤساء بني النعمان، فقتل البعض منهم مثل ميمون ونفي أبا علي إلي الإسكندرية.[٣]

دور وزراء المستنصر في ثورة أبى عمارة وبني مرداس وبني دياب:

لم يكن القضاء علي بني النعمان وتصفية وجودهم من منطقة قسنطينة يمنع من قيام ثورة ثائر آخر ببلاد الذاب يدعي أبو عمارة، فخرج السلطان يصاحبه وزراؤه وكبار رجال دولته وقواده، وهزموه شر هزيمة وقبض عليه، وأرسل إليه السلطان فقتله، وقطع رأسه وأرسلها إلي تونس لتعلق بها لتكون عبرة للآخرين[٤] ثم قام المستنصر ووزراؤه بحملة تأديبية ضد بني مرداس وبني دياب[٥] في جبال الحفنة[٦] وقبض علي عدد من رؤسائهم[٧] منهم رحاب بن محمود

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٦٣٣.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٦٣٣، المطوي: السلطنة، ص١٨٣.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٦٣٣، العامري: تاريخ المغرب، ص ٨٠، ص ٨٠ هامش.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٦٣٣ – ٩٣٤، المطوي: السلطنة، ص ١٨٣.

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٦٣٤، المطوي: السلطنة، ص١٨٣، ابن القنفذ: الفارسية، ص١١٩، يذكر ابن القنفذ أن أسباب هذه الحملة التأديبية هو أن بني مرداس بايعوا الأمير أبا إسحاق في ثورته ضد المستنصر، راجع، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١١٨.

(٦) المطوي: السلطنة، ص ١٨٣.

(٧) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٦٣٤، المطوي: السلطنة، ص١٨٣.

وابنه[١] وأرسلهم إلي سجن المطيق بالمهدية[٢].

دور الوزير بن أبى الحسين في مقتل ابن الآبار[٣]:

كان ابن الآبار ذا أنفة وكبر، فعندما ولاه السلطان أبو زكرياءء الحفصي كاتبا لرسائله وقربه منه، ثم بعد مدة هوته نفسه إلي كتابة الرسائل بالخط المشرقي لأنه كان يحبه ويؤثره عن الخط المغربي فقام السلطان بعزل ابن الآبار[٤] وتعيين أبى العباس التهامي فسخط ابن الآبار[٥] وقام بالتعليم في كتب لم يأمر السلطان بتدريسها[٦] فعرف السلطان بما فعله ابن الآبار فأمره

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٦٣٤، ابن القنفذ: الفارسية، ص١١٩.
(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٦٣٤. المطوي: السلطنة، ص ١١٩، ١٨٣.
(٣) هو ابن عبد الله محمد بن أبى بكر القصاعي المعروف بابن الآبار من كبار أهل بلنسية، وكان علامة في الحديث ولسان العرب، وبليغا في الترسيل والشعر، وكتب عن السيد أبى عبد الله بن أبى حفص ابن عبد المؤمن ببلنسية ثم عن ابنه أبى يزيد، ولم هاجم النصارى بلنسيه، بعث زيان بوفد بلنسيه إلي الأمير أبى زكرياء الحفصي، وكان فيهم ابن الآبار: فحضر مجلس السلطان وانشد قصيدته يستصرخه، فبادر السلطان بإغاثتهم وشحن الأساطيل بالمدد إليهم من المال والأقوات فوجد العدو محاصرا لهم ثم تغلبوا علي بلنسيه ورجع ابن الآبار بأهله إلي تونس فأنزله السلطان بخير مكان، وجعله كاتب لرسائله.
راجع ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٦٥٢ – ٦٥٣، ابن القنفذ: كتاب الوفيات، تحقيق عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة – بيروت، ج٢ ١٩٧١، ١٩٧٨، ص ٣٢٤
(٤)ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٦٥٣ – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج١، ص ٤٢ الزركشي: المصدر السابق، ص ٢٨ – ٢٩، ابن القنفذ: وفيات الأعيان، ص ٣٢٥.
(٥)ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٦٥٣، الزركشي: المصدر السابق، ص٢٨ – ٢٩، ابن الآبار: الحلة السيراء، ج١، ص ٤٨
(٦)ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٦٥٤، الزركشي: المصدر السابق، ص ٢٨، ويذكر الزركشي سبب آخر لعزله وهو سوء خلقه، راجع الزركشي: نفس المصدر والصفحة.

بلزومه بيته وشدد عليه الحصار داخل منزله[١] فسعي ابن الآبار في العودة إلي مكانته داخل القصر، فقام بتأليف كتاب رفعه إلي السلطان[٢] ليمجد فيه شاعر السلطان وابنه وتعديلا علي أن قول الشعر من خصال كبار الخلفاء الراشدين وسماه (أعتاب الكتّاب)، واستشفع فيه بابنه المستنصر فعفي عنه السلطان أبو زكرياء وأعاده للكتابة[٣] وبعد وفاة أبي زكرياء وتولي المستنصر الحكم ظل ابن الآبار في عمله وقربه من السلطان[٤] يحضر مجلسه مع خاصة السلطان الذين كانوا يحضرونه من أهل الأندلس وأهل تونس، وكان ابن الآبار ذا أنفه

(١)ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٦٥٤، نلاحظ هنا إن عزل السلطان لابن الآبار من منصبه وذلك يرجع للخلاف والوقيعة بين الاندلسين والبلدين (الموحدين وغيرهم) فقد كان هناك صراع بين هؤلاء المهجرين الاندلسين مع شيوخ وعلماء كل قطر نزلوه، لان المهاجرون كانوا يحسبون أنهم اعلي من غيرهم واقدر وهم أولي بالتكرم والمناصب علي العكس كان أهل البلد يرون أن الاندلسين يجب أن يقتنعوا بما حصلوا عليه من تكريم ولا يطمعوا في أكثر من ذلك وكان هذا الخلاف بلغ أشده في الدولة الحفصية، وكان ابن الآبار رجل طموح إلي السلطة والجاه وحب الدنيا بالإضافة انه سريع الغضب صريط اللسان تصدر عن المساءة ولا شعر مما كان له ابلغ الأثر في عزله من منصبه. راجع ابن الآبار: الحلة السيراء السيراء، تحقيق حسن مؤنس، دار المعارف ١٩٨٤، ج١، ص ٤٠ – ٤١.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٦٥٤، ابن الآبار: الحلة السيراء السيراء، ج ١، ص٤٣

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٦٥٤، ابن الآبار: الحلة السيراء السيراء، ج ١، ص٤٥، المطوي: السلطنة، ص ٢١٧، ابن القنفذ: كتاب الوفيات، ص ٣٤٥، حيث بالغ ابن الآبار في التذلل للسلطان واخذ يقص حكايات كتاب سبق لهم غضب السلاطين عليهم ثم حلت بهم نعمة الرضا فعاتبوهم، راجع ابن الآبار: الحلة السيراء السيراء، ج ١، ص ٤٢

(٤) ابن الآبار: لحلة السيراء السيراء، ج ٢، ص ٤٣

وضيق خلق، فكان لا يوقر السلطان المستنصر وكان لا يزري عليه في مجلسه[١] مما جعل السلطان يسخط عليه ويتغير من ناحيته فخشن عليه صدره[٢] فكانت هذه فرصة للوزير أبى الحسين الذي ضيق عليه ابن الآبار واشتد ضيقه منه بسبب حقد قديم[٣] بالإضافة إلي ازدرائه المستمر للوزير ودائم الحط من شأنه[٤] فأوغر قلب السلطان عليه فأبعد ابن الآبار إلي بجاية فذهب إليها، وانقطع عن الحياة السياسية ومشاكلها[٥] وكتب إلي السلطان يمجده ويشيد بأعماله[٦] وعاد ابن الآبار من بجاية، وأعاده السلطان إلي مكانه من مجلسه واستمر ابن الآبار في صراطة اللسان والاساءه إلي السلطان والكبرياء[١] وكان

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٥٤، ابن القنفذ: الوفيات، ص ٢٣٥، المطوي: السلطنة، ص ٢١٦.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٥٤، المطوي: السلطنة، ص ٢١٧

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٥٤، المطوي: السلطنة، ص ٢١٧، يرجع هذا الحقد أنه عندما قدم ابن الآبار من بلسنة نزل بنزرت وخاطب ابن أبى الحسين بغرض رسالته ووصف أباه في عنوان رسالته بالمرحوم ونبه علي ذلك فأستضحك وقال: أن أبا لا تعرف حياته من موته لأب خامل وترامت هذه الأخبار إلي ابن أبى الحسين فأسرها في نفسه حتى جاءت الخطة المناسبة للتخلص من ابن الآبار: راج ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٥٤

(٤) ابن الآبار: الحلة السيراء، ج١، ص ٤٣.

(٥)ابن الآبار: الحلة السيراء، ج ١، ص ٤٣، ابن القنفذ: كتاب الوفيات، ص ٣٢٥، هامش، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٥٤، لم تكن حياة ابن الآبار بجاية سيئة فكان محل أعجاب وتقدير الناس، ولكنه لسوء أخلاقة أيضا في بجاية تقلصت عنه النعمة، راجع ابن الآبار: الحلة السيراء، ج ١، ص٤٤.

(٦) ابن الآبار: الحلة السيراء، ج١، ص ٤٣.

إلي السلطان والكبرياء[١] وكان هذا من تدبير خصومه وخاصة من الوزير أحمد بن إبراهيم الغساني وزير المستنصر، ولم يكن الغساني ليطمئن له جنب، وابن الآبار قريب من السلطان يستطيع الوصول إليه إذا أراد، وكان السلطان المستنصر رجلا كثير المخاوف يتوقع الخيانة من كل ناحية لان أعداءه الخارجين عليها كانوا كثيرين، ففهم الوزراء ابن الآبار بالتدبير ضد السلطان والدولة، فيحل بذلك دمه للسلطان ويتخلصون منه[٢]. لدرجة إن السلطان المستنصر لم يطيق النظر إليه منذ أن عاد ابن الآبار من بجاية، فإذا دخل عليه لم يكلمه أو يلتفت إليه، فشكي ابن الآبار وتألم علي الزمان من سواء حطه فقال:

علت سني وقدري في انخفاض وحكم الرب في المربوب راض
إلي كم اسخط الأقدار حتي كأني لم أكن يوما براضي[٣]

فأمر السلطان الوزير أحمد بن إبراهيم الغساني بالبحث في داره وكتبه ودفاتره، فعثر علي بيت شعر يقول (طغي بتونس خلف سموه ظلما خليفة)[٤]ووجد السلطان كتابا لآخر يسيء إلي السلطان، فأمر بضربه بسياط،

(١) ابن الآبار: الحلة السيراء، ج١، ص ٤٤، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١١، ص ٦٥٤

(٢) ابن الآبار: الحلة السيراء، ج١، ص ٤٤، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١١، ص ٦٥٤ – ٦٥٥ يذكر انه من أسباب قتل السلطان لابن الآبار بأنه ذات مرة سمع ابن الآبار بأن السلطان يسأل عن مولد ولده أبى زكرياء يحيي الذي تولي السلطة بعده وتلقب بالواثق، فجاء ابن الآبار في اليوم يخبره فيها تاريخ الولادة وطالعها ويقال أن هذا الطالع كان نحسًا، فاستشاط السلطان غضبًا من فضوله وتطفله، راجع ابن الآبار: الحلة السيراء، ج ١، ص ٤٤ – ٤٥.

(٣) ابن الآبار: الذخيرة، ج ١، ص ٤٤٥.

(٤) ابن الآبار: الحلة السيراء، ص ٤٥، ابن خلدون: العبر، مج ٥، ج ٦، ص ٦٥٥، الزركشي: المصدر السابق، ص ٣٥.

وقتله رميا بالرماح سنة ٦٥٠هـ[١] وهكذا كانت الوفاة البشعة ثم أمر السلطان بحرق جثته مع كتبه وأوراقه التي كانت تشمل علي أمهات الدواوين وأصول الكتب الأندلسية[٢] واستولوا علي أمواله الكثيرة التي امتلكها[٣] **وخلاصة القول** نقول إن الصراع بين الوزراء علي التقرب للسلاطين داخل القصور الحفصيه، وان العوامل والأموال التي جمعها كل هؤلاء العظماء من رجال الدولة ساعدت كثيرا علي خلق جو من التآمر والدسائس والكره والبغض لبعضهم البعض التي أدت في النهاية إلي القضاء علي أديب ومفكر وإنتاجه الفكري، وهذه أحد الجرائم التي يتحملها الوزراء من الناحية الأخلاقية والسياسية.

(١) ابن الآبار: الحلة السيراء، ص ٤٥، ابن خلدون: العبر، مج ٥، ج ٦، ص ٦٥٥، الزركشي: المصدر السابق، ص، ابن الآبار: الحلة السيراء السيراء، ج ١، ص ٤٥ – ٤٦، الفارسية، ص ١٢٣.

(٢) ابن الضياف: إتحاف الزمان، ص ٣٦، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٥٥، ابن الأحمر: مستودع العلامة، ص ٢٨، الزركشي: المصدر السابق، ص ٣٦، ونلاحظ هنا قسوة العقاب الذي ناله ابن الآبار فلا يتناسب مع تاريخ ابن الآبار وكانت هذه العقوبة نزل به لأن هذه العقوبة كانت لا تنزل إلا بأعداء السلاطين ذو الخطر أو الذين حاربوهم، ولكن لا شك أن الوشاية في حق صورته أبشع صورة له، فتعتبر هذه الجريمة من أبشع جرائم الوزراء وسلاطينهم حيث لعب الوزراء دورهم في عملية القتل، راجع ابن الآبار: الحلة السيراء، ج ١، ص٤٦، المطوي: السلطنة الحفصية، ص ٢١٧، ٢١٨.

(٣) مني سيد: المرجع السابق، ص٢٣٣.

وزراء السلطان أبى إسحاق إبراهيم وثورة ابن أبى عمارة:

كان نتيجة لضعف السلطان أبي إسحاق وسيطرة وزراؤه عليه، وسكونه إلي اللهو والملذات، وسوء حالة البلاد، وسعي الوزراء إلي السيطرة علي الأموال ومقاليد السلطة، وترك أمور الدولة للوزراء وأبنائه[١] جعل ابن أبى عماره يقنع أعراب المعقل في المغرب الأقصى بأنه المهدي المنتظر ولكن أمره انفضح، فتحرك إلى المناطق الجنوبية من إفريقية حتي وصل بني دياب في طرابلس الغرب لنشر دعوته، وصادفه " نصير " مولي السلطان الواثق الحفصي فاعتقده الفضل بن الواثق، واتفقا سويا علي ذلك، واختلق قصة الفضل بن الواثق لمساعدة المولي نصير فاستجاب له بني دياب، وجمع الإعراب حوله وأصبحت له قوة يستطيع أن ينطق بها[٢] وسرعان ما بايعه الجنوب الحفصي كله فأرسل إليه السلطان الحفصي جيشا بقيادة ابنه أبى زكرياء ووزير جنده في رمضان ٦٨١هـ /أكتوبر ١٢٨٢م فانهزم الجيش الحفصي وتشتت شمله، عندما علموا بسقوط قفصة، وذلك استولي أبو عماره علي المقيرداي ثم صفاقس ثم منطقة الساحل[٣].

وفي شوال ٦٨١هـ /١٢٨٣م سيطر الخوف والفزع علي السلطان

---

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٨٩، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٩، المطوي: السلطنة، ص ٢٤٤.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٨٩، المطوي: السلطنة، ص٢٤٧، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١١٧.

Villes Du Monde Arabe: S Fax, Textes Mohaméd Masmoudi, Photos Heannechevalier, Ansi ١٩٨٤, P. ٢٣.

(٣) الزركشي: المصدر السابق، ص ٤٦.

ووزراؤه، بعدما تخلى عنه كبير الوزراء موسي بن ياسين حيث أمر القوات المحتشدة في المحمدية بعدم الفاع عنه، ففر السلطان أبو إسحاق ومعه بعض أفراد حاشيته وأنصاره الأوفياء، أثناء الشتاء وقسوة الطقس، وسلبت منه أمواله في الطريق وأغلقت مدينة قسنطينه أبوابها في وجهه[١] وعندما وصل أبو إسحاق إبراهيم بجاية في شهر ذي القعدة ٦٨١هـ/ فبراير ١٢٨٣م، أجبره ابنه أبو فارس علي التنازل عن العرش ومبايعته بالخلافة وتلقب بلقب المعتمد[٢] وهذا يدل إلي ما وصلت إليه الدولة الحفصية من تدهور وانحطاط وضعف، وأصبح السلطان ضعيفا لا يحرك ساكنا ولا يستطيع أن يدافع حتي عن عرشه، وما حدث من كبير الوزراء موسي بن ياسين دليل كبير علي الانهيار[٣] ودخل الداعي ابن أبى عماره تونس حاضره الدولة ونودي به سلطانا منذ يوم ٢٧ شوال ٦٨١هـ الموافق ٢٨ ابريل ١٢٨٣[٤] وهنا كثر الوزراء والسلاطين، سلطان بوزراؤه وجيشه في تونس، وسلطان آخر ووزراؤه في بجاية وتقابل الاثنان في مرماجنة قرب قلعة سنان، وانهزم أبو فارس وقتل هو وجميع أخوته[*] وانتصر الداعي ووزيره موسي بن ياسين وورث السلطة الحفصيه

(١) الزركشي: المصدر السابق، ص ٤٦، برنشفيك: المرجع السابق، ج ٦، ص ١١٧.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٩٢، الزركشي: المصدر السابق، ص ٤٦، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٤٤.

(٣) المطوي: السلطنة، ص ٢٥٢.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٩٢، المطوي: السلطنة، ص، برنشفيك: المرجع السابق، ج١، ص ١١٧.

(*) قتل أبو فارس عبد العزيز وأخوته عمر وخالد وعبد الواحد ومحمد ابن عبد الواحد وقطعت رؤوسهم وأرسلت إلي تونس حيث طيف بها علي الرماح ولكن أبو زكريا يحيي

وحكم البلاد من شرقي طرابلس حتي غربي بجاية.

دور الفازازي في صد حملات سلطان بجاية أبو زكرياء:

استطاع أبو زكرياءء بن السلطان أبو إسحاق إبراهيم الهرب من أنصار الدعي بعدما قتلوا والده عندما فر من بجاية خوفا من بطش الأهالي، ولجأ إلي تلمسان عند صهره السلطان سعيد عثمان بن يغمراسن الزياني، وظل لاجئا هناك حتي انتصر عمر الحفصي علي الدعي، وأعاد للحفصيين هيبتهم وسابق عهدهم[١] وكان لوزرائه دورً كبير في نهوض أبو زكرياء صاحب بجاية للمطالبة بالحكم، وذلك عندما فضل السلطان عمر الحفصي والوزير محمد بن القاسم بن إدريس الفزازي علي أبي الحسن بن أبى بكربن سيد الناس ومحمد ابن أبى بكر بن خلدون الذين ساعدوه علي الفرار من معركة قلعة سنان وظهر هذا التمييز جاليا عندما جعله كبير وزرائه، فدبت روح الغيرة والحقد في نفس ابن سيد الناس بسبب هذا التمييز، فغادر حاشية السلطان عمر الحفصي، وتوجه إلي تلمسان حيث يوجد أبو زكرياءء بن إبراهيم حرضه علي المطالبة بالعرش الحفصي مستغلا حماسه وطموحه وذلك من اجل كسب المزيد من النفوذ الحظوة عند هذا السلطان في حالة نجاحه في الاستيلاء علي تونس[٢] وكانت الفكرة تتماشي مع أهواء أبى زكرياء بن إبراهيم الحفصي، فعمل علي الاستعداد للتحرك إلي تونس العاصمة لمحاربة عمه، فاقترض المال من تجار

الحفصي أستطاع إلي الهروب إلي تلمسان عند صهره سعيد ابن يغموراس راجع ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٥٣، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١.

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٦٩٩.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٦٩٩-٧٠٠.

بجاية في تلمسان وجمع الرجال واصطنع الأولياء وعاش أبهة الملك وحياه الملوك[١] فاستولي علي بجاية وقسنطينة وكسب ولاء قبائل الذواوذة وبنو سدويكش التي ساندته بقوة[٢] وبسط كامل سيطرته علي القسم الغربي من الدولة الحفصيه منذ سنة ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م واعترفت مدينتي تدلس والجزائر بسلطته واتخذ من بجاية عاصمة لدولته[٣].

وعندما علم السلطان عثمان بن يغمراسن بما خطط له من غزو إفريقية حاول منعه وذلك بسبب العلاقات الطيبة بين الحفصيين وبني زيان، ولكن أبا زكرياءد بن إبراهيم كان عازما ومصمما فتظاهر بخروجه للصيد واتحد مع القبائل العربية، وتلقب بالمنتخب لإحياء دين الله[٤] وفي سنة ٦٨٥هـ /١٢٨٦م تحرك هو ووزراؤه بجيوشه قاصدًا افريقية[٥] ولكن كان الوزير ابن الفازازي وزير وقائد الجيش الذي تولي مهمة الدفاع عن السلطان والدولة، فكان شجاعا بارعا في الزود عن سلطانه فاستطاع من إقصائه نحو الجنوب، وأظهر براعته ضد هذا الخصم العنيد والذين رافقوه في حملته، وعاد يجر ذيل الهزيمة، مبتعدا عن العاصمة الحفصية تونس، فاستولي علي قابس بعد حصار

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٦٩٩، برنشفيك، المرجع السابق، ج١، ص١٣٤، المطوي: السلطنة، ص ٢٦٨.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٦٩٩، المطوي: السلطنة، ص٢٦٨.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٧٠٠، المطوي: السلطنة، ص ٢٦٨.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٧٠٠، المطوي: السلطنة، ص٢٦٨، برنشفيك، المرجع السابق، ص ١٣٤.

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٧٠٠، المطوي: السلطنة، ص٢٦٨، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٤٩.

طويل، وكسب ولاء جميع الأعراب في هذه المنطقة ولكنه فجأة عاد مسرعا إلي بجايه من أجل إنقاذها من الحملة العبدوادية عليها سنة ٦٨٦هـ /١٢٨٧م ولو استولي عليها بنو زيان فمن الصعب إخراجهم من هذه البلدان الحفصيه[١]، وذلك بفعل الوزير الفازازي صاحب الهمة والشجاعة والمهارة في إزاحة هذه الحملة الشرسة واستطاع من صدها وتفويت الفرصة عليهم، وخاصة وزراء السلطان أبو زكرياء الذين كانت صدورهم تغلي من الحقد عليه ومنهم الوزير ابن سيد الناس.

الوزير الفازازي وقضائه علي ثورة أحمد بن يملول في توزر(*):

حدثت هذه الثورة نتيجة الصراع بين سداده وكنومه وقامت بينهم فتنة قتل فيها ابن الشيخ سداده، ولم يرض أهل سداده بذلك، فقرروا الانتقام من شيخ كنومه نفسه، فلم يستطع شيخ كنومه من فعل شيء سوي اللجوء إلي عامل توزر من قبل السلطان الحفصي أبى حفص عمر، وعرض عليه أن يمده بأموال من أجل أن ينصره علي أهل سدادة[٢]، وبالفعل قام محمد بن يحيي بن

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٧٠١ -٧٠٢، المطوي: السلطنة، ص٢٨٠، برنشفيك: المرجع السابق، ج١، ص ١٣٤

(*) توزر: هي قاعدة بلاد الجريد ولا يوجد في بلاد الجريد غابه أكبر منها ولا أكثر مياها وبها عيون تنبع من الرمال ومبانيها داخل البلد وبها جامعان، وتكثر بها الأشجار والأزهار راجع التجاني، الرحلة، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، تونس، الدار العربية ١٩٨١، ص ١٥٧ – ١٥٨، ابن حوقل، صورة الأرض، ص، البكري، المغرب، ص، الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ١، ص، الوزان، المصدر السابق، ص، الشماخي: السير، ج، ص

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٧٠٢.

أبى بكر عامل توزر بتصعيد عصيان وثورة سدادة، فأمره الوزير الفازازي بالخروج إليه علي رأس جيش كبير من أجل القضاء علي هذه الفتنة بقيادة أحمد بن يملول[١] فقاموا بقتل وأسر جميع القائمين بالثورة، وقبضوا علي ابن يملول واستلمه الوزير الفازازي الذي لم يفك أسره ويفرج عليه إلا مقابل دفع غرامة ماليه باهظة[٢] وعقد سلما بشرط دفع المغارم للسلطة المركزية في تونس[٣] وهنا نجد الحنكة والدهاء من الوزير الفازازي والذي استطاع من تامين الجهات وفرض المغارم علي السائرين، فكان دوره محمود في الدولة الحفصيه حيث مهد النواحي ودفع الهجمات وقضي علي الثورات.

دور الوزير الأكبر ابن اللحياني في استرداد قسنطينة:

عندما تولي السلطان أبو عصيدة حكم الدولة الحفصية جعل لقب الوزير الأكبر للشيخ أبى يحيي زكرياء ابن اللحياني[٤] وعهد إليه بقيادة الجيش[٥] وبذل جهودًا عظيمة من أجل المحافظة علي منصبه واثبات وجوده من أجل السيطرة علي السلطان الصغير الضعيف ضد الأمير أبى البقاء خالد في بجاية، الذي حاول التقرب والمصالحة للسلطة المركزية في تونس عن طريق ابن جبي حاجبه سفيرًا للنوايا الحسنة لدى السلطان أبى عصيدة، ولكن استغل خصومه

(١) برنشفيك، المرجع السابق، ج ١، ص ١٣١.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ٧، ص٧٠٧، برنشفيك، المرجع السابق، ج ١، ص ١٣١، ١٣٦، المطوي: السلطنة، ص ٢٨٠.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٧٠٠، برنشفيك: المرجع السابق، ج١، ص ١٣٦.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٨.

(٥) نفس المصدر السابق والمجلد والجزء، ص ٧٣٩.

من حاشية أبى البقاء خالد غيابه وحرضوا عليه الأمير أبا البقاء خالد[١] لأنهم لم يكن لهم رغبة في المصالحة بين السلطة المركزية في تونس والخارجة عليها في بجاية خوفًا من فقد مراكزهم في حالة الصفاء والتصالح[٢] ولكن كبير الوزراء ابن اللحياني قد حرص السلطان أبو عصيدة علي الرفض وعدم التصالح[٣] ولكن ابن أبى جيي كبير حجاب الأمير أبو البقاء خالد قد أكرمه كبير الوزراء عندما وصل تونس من أجل الصلح للمرة الثانية[٤] وعندما عاد الحاجب ابن جبي وجد أن الأمير أبى البقاء خالد متنكرًا له، فخاف علي منصبه مثل ما حدث لأبي العباس الغبريني[٥] حيث سعى الحاقدون علي الحاجب ابن جبي بأنه تحالف مع صاحب تونس ووزيره الأكبر ابن اللحياني من أجل تمكينه من بجاية وقسطنطينية حيث عاملها هو علي الهمزاني صهر الحاجب ابن جبي[٦]

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٩، المطوي: السلطنة، ص ٣١٥، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٧٣٩.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٩، المطوي: السلطنة، ص ٢٩٣.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦١٥، حيث كان الوزير الأكبر ابن اللحياني هو المتصرف الأول في شئون الدولة وليس السلطان الضعيف أبو عصيدة.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٢٠

(٥) كان أبو العباس الغبريني كبير الموحدين في بجاية وكان فيها صاحب الشوري، وعندما أرسله أبو البقاء خالد إلي تونس من أجل التصالح الأول سعي إلي قديث علي من حاشية الأمير أبى البقاء خالد علي أيغار صدره ضد الغبريني لادعائهم أنه خانة في سفارته وتوطأ مع كبير الوزراء ابن اللحياني، قصيص عليه عند عودته وقتله، راجع ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٩، المطوي: السلطنة، ص ٢٩٣ – ٢٩٤.

(٦) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص، المطوي: السلطنة، ص ٢٩٦، برنشفيك، المرجع السابق، ج١، ص ١٤٥

وعندما شعر أبو الحسن علي بن الأمين بالخطر الذي أحاط به من الأمير أبى البقاء خالد فقرر علي الفور بخلع طاعته وولائه لأبي البقاء عام ٧٠٤هـ / ١٣٠٤م وأعلن بيعته للسلطان أبا عصيدة وأرسل إليه بيعته[١] وطلب منه المدد والمساعدة، وعلي الفور تحرك الوزير الأكبر أبو يحيي زكرياء بن اللحياني بجيشه، وأخذ البيعة للسلطان أبى عصيدة وضم قسنطينة إلي أملاك السلطان الحفصي، وعاد الوزير بعد أن رتب المدينة وأعاد إليها أمنها ولكن بعد أن غادرها استطاع أبو البقاء خالد من الهجوم عليها وحاصرها[٢] وتم القبض علي ابن الأمين وحضر إلي أبى البقاء خالد فقتله ومثّل بجسته ليكون عبرة لغيرة وهذا يدل علي مدي ضعف ووهن السلطة المركزية ومدي ضعف الوزراء علي الرغم من سيطرتهم علي السلطان.

دور الوزير أبى عبد الله بن يرزيكن في القضاء علي ثورات الكعوب :

استطاعت قبائل الكعوب من هزيمة بني رباح إلي جهة الغرب، وهبطوا واستوطنوا القيروان والجريد سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م، واستفحل شأنهم في عهد السلطان المستنصر وقاموا بطرد قبائل مرداس إلي الصحراء[٣] وأغدقت عليه الدولة الحفصية الهبات والعطايا لدورهم الكبير في قيام الدولة الحفصية، فأخذهم الغرور والإعجاب، فأكثروا الفساد في البلاد وانتهبوا الزرع وبلغ

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٢٧، المطوي: السلطنة، ص ٢٩٦ – ٢٩٧، برنشفيك: المرجع السابق، ج١، ص ١٤٥.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٢٨، المطوي: السلطنة، ص٢٩٧، برنشفيك: المرجع السابق، ج١، ص ١٤٥.

(٣) محمد حسن: المدينة والبادية، ج١، ص١١٦.

ضررهم علي العامة والقبائل مما جعلهم موضع حقد وكره من الجميع[١] وجاءت اللحظة التي أشعلت فتيل الثورة في وجه السلطان الضعيف المغلوب على أمره من وزراؤه حيث عبر العامة عن غضبهم في نصف رمضان[٢] عام ٦٠٥هـ / ١٣٠٦م عندما جاء هداج بن عبيد شيخ قبائل الكعوب إلي تونس في يوم الجمعة فدخل جامع الزيتونة(♣) لأداء صلاة الجمعة، فدخل الجامع بخفيه تحت عيون العامة، فلما نهره الناس علي فعل ذلك قال " أني أدخل به مجلس السلطان "(♣♣) ولم يكد أن ينهي كلامه حتى سخط الناس عليه وقتلوه عقب الصلاة، وجروا جثته في شوارع المدينة[٣]. ونتيجة لذلك كان رد فعل قبائل

(١) اب خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص٧١٥، الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٦، المطوي: السلطنة، ص ٢٩٩، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٤٦، مصطفي أبو ضيف: أثر العرب، ص ١٢٧.

(٢) الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٦، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٤٧

(♣) جامع الزيتونة: هو أول ما عرف من هذا الجامع صومعته الشهيرة الموجودة قبل دخول العرب أفريقية، وعندما بني المسجد جعلت الصومعة مسجدًا إسلاميًا ومحل للآذان والإقامة، راجع محمد بن عثمان الحشائشي: جامع الزيتونة، تحقيق وتقديم: الحيلاني بن الحاج يحيى، مؤسسة عبد الكريم للنشر، تونس، ط٢، ١٩٨٥، ص١٩-٢٤.

(♣♣) فهذه العبارة تدل علي مدي الضعف والوهن الذي وصلت إليه السلطة المركزية التى قد تركزت في أيدي الوزراء ومدي ازدياد نفوذ قبائل الكعوب وسيطرتها علي الجباية وفرضوا المغارم علي الرغبة دون رقيب أو حسيب نشعال الوزراء بحياتهم وصراعاتهم من أجل مناصبهم والسيطرة علي السلطان.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٥، الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٦، محمد حسن: حركات العامة، ص ٢٥٥، العامري: المرجع السابق، ص ٨٨، مصطفى أبو ضيف أحمد: أثر العرب في تاريخ المغرب خلال عصري الموحدين وبني مرين، مؤسسة شباب

الكعوب أشد من ثورة الأهالي علي شيخهم المقتول، فأعلنوا العصيان والثورة علي السلطان[١].

وقاموا بالنهب والفساد[٢] وقام شيخهم أحمد بن أبى الليل باستقدام عثمان بن أبى ديوس الأمير الموحدي الذي حاول القيام بأحياء الدعوة الموحدية بإعانة الأسبان وكان موجودا بنواحي طرابلس فبايعه، وخلع طاعة الحفصيين، وحاصر تونس، بعد ثلاث سنوات من الثورة والتفاني في محاربة جيش السلطان أبى عصيدة بقيادة الوزير أبى عبد الله بن يرزيكن الذي استطاع من هزيمة الثائرين وألقي القبض علي الثائر أحمد بن أبى الليل ومعه مساندية[٣] من قبائل سليم[٤] وسار بالجيش الوزير أبو عبد الله في كل الجهات، وتسكين الثورات القتالية، وسرح ابن أبى دبوس، ونشر الأمن حتى اضطر أحمد بن أبى الليل من الخضوع والدعوة ومبايعة السلطان أبى عصيدة وهكذا استطاع الوزير أبو عبد الله بن يرزيكن من فرض كلمته وشخصيته علي السلطان أو عصيدة الذي لم يحرك ساكنًا ضد الثوار، ولكن كان للوزير

الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٣، ص١٢٧.

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص، الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٦، المطوي: السلطنة، ص ٣٠٠، محمد حسن: المدينة والبادية، ج ١، ص ١١٧، مصطفى أبو ضيف أحمد: المرجع السابق، ص١٢٨.

(٢) المطوي: السلطنة، ص ٣٠٠، مصطفى أبو ضيف: المرجع السابق، ص١٢٨.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص ٧١٦، الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٩، المطوي: السلطنة، ص ٣٠٠، برنشفيك: أفريقية، ج ١، ص ١٤٧، محمد حسن: حركات العامة، ص ٢٥٦

(٤) محمد حسن: المدينة والبادية، ج ١، ص ١١٧

دوره الواضح في مكافحة والتصدي لثورات الكعوب حتى قضي علي ثوراتهم نهائيًا وحافظ علي وحدة الأراضي الحفصية وعلي روح سلطانه أثناء الحصار.

ثم خرج الوزير بجيوشه مرة آخري عام ٧٠٨هـ / ١٣٠٩م إلي قبائل الكعوب من أجل القضاء علي عصيانهم ومنعهم من إثارة الفوضى والشغب(١)، وعندما وصل إلي هناك قبض علي شيخهم وبعث به إلي العاصمة تونس فاعتقل مع عمه أحمد، وجاهر أخوه حمزة بالنفاق وجعله شيخًا لقومه، فكثر فسادهم وأخذوا بالرعايا وكثرت منهم الشكاوي ولغطوا بالأسواق وتجمهروا بها(٢) فقام العامة بثورة عارمة انصب غضبها علي السلطان أبى عصيدة الضعيف ووزراؤه الذين عجزوا عن إيقاف الشغب وإقرار الأمن، وهاجموا القصبة محاولين فتحها في رمضان ٧٠٨هـ / ١٣٠٦م من أجل الفتك بالوزير الحاجب ابن الدباغ(٣) وشفاء صدورهم لأنه هو المسئول عن تلك الفوضى والاضطرابات التي عمت البلاد، وتدخل السلطان أبو عصيدة في الأمر(٤)، وأمر بملاطفتهم إلي أن

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٦، العامري: المرجع السابق، ص ٨٨

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٦، المطوي: السلطنة، ص ٣٠٠، محمد حسن: حركات العامة بمدن أفريقية في العهد الحفصي، فقال في كتاب المعتيون في تاريخ تونس، ص ٢٥٦

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٦، الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٧، المطوي: السلطنة، ص٣٠٠، برنشفيك: افريقية، ج١، ص ١٤٧، محمد حسن: حركات العامة، ص ٢٥٦، العامري: المرجع السابق، ص ٨٩.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٦–٧١٧، المطوي: السلطنة، ص ٣٠٠، محمد حسن: حركات العامة، ص ٢٥٧، العامري: المرجع السابق، ص ٨٩.

سكنت ثورتهم[١] ثم تحقق من القائمين بهذه الثورة وعاقبهم، ولكن استمر الكعوب في الشغب والفوضى وإيذاء العامة مع عجز تام من السلطان والوزراء من القضاء عليهم في مختلف الجهات[٢].

خلاصة القول:

وهنا نجد علي الرغم من الدور الإيجابي للوزير أبى عبد الله في القضاء مؤقتًا علي ثورات الكعوب ولكنه نافق شيخهم الجديد وكذلك فعل الوزير الحاجب ابن الدباغ وعجزهم عن إيقاف شغب الكعوب فأدي إلي الثورة العارمة من العامة ضدهم وضد سلطانهم العاجز، وهذا يبين لنا قوة ونفوذ شيوخ القبائل.

دور الوزير ابن يرزيكن في مقاومة جيش سلطان بجاية أبو البقاء خالد:

عندما توفي السلطان الحفصي أبو عصيدة في ربيع الثاني سنة ٧٠٩هـ / سبتمبر ١٣٠٩م[٣]، ورفض وزراؤه وكبار رجال دولته

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٧، وحاول رجال الجيش من التعرض لهم والهجوم عليهم بالخيول فرفض السلطان، وطلب منهم أن يدافعوا بقوة وهناك رأي من وراء السلطان بغلق الأبواب وقتلهم بداخله فرفض السلطان، الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٧.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٧، الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٧، المطوي: السلطنة، ص ٣٠٠، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٤٧، محمد حسن: حركات العامة، ص ٢٥٧.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٢، الزركشي: المصدر السابق، ص ٢٥٨، ابن المشاع: المصدر السابق، ص، ابن الضياف: المصدر السابق، ص ٢١٥، ابن السراح الوزير: المصدر السابق، ص ١٦٣، ابن القنفذ: الفارسية، ص.

المعاهدة[١] التي تعطي للأمير أبى البقاء خالد حكم الدولة الحفصية كلها، وجاءوا بالأمير أبى زكرياء الذي عرف بالشهيد سلطانًا عليهم من أجل المحافظة علي مناصبهم[٢] وبالفعل جعل أبا بكر عبد الرحمن محمد ابن عبد الله بن يرزيكن علي وزراؤه، وأقر ابن الدباغ في منصب وزير الإنشاء والحجابة[٣]، وعند ترامت أنباء وفاة السلطان إلي الأمير أبى البقاء خالد، تحرك علي الفور بجيوشه قاصدًا تونس من أجل الاستيلاء عليها وتوحيد الدولة[٤] وانضمت إليه قبائل أولاد أبى الليل[٥].

وعندما وصلت جيوش أبى البقاء خالد علي مشارف مدينة تونس[٦]، كانت السلطة المركزية المتمثلة في الوزير ابن يرزيكن والوزير الحاجب ابن الدباغ في صراع بينهما من أجل السيطرة علي السلطان والحكم، والتنافس

(١) كانت هذه المعاهدة بعد أن فتح السلطان أبو البقاء خالد قسطنطينية فأرسل السلطان أبو عصيدة وفده من أجل التصالح فشرط عليهم السلطان أبو البقاء خالد أن من هلك منهما قبل صاحبه فالأمر من بعده للآخر والبيعة له فتقبلوا الشرط وحضر كبار رجال دولته ووزراؤه من بجاية وشهد الوزراء وكبار رجال الدولة بتونس، راجع ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٢٩ – ٧٣٠.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص ٧٣٣، الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٨.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٣، الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٨.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٣.

(٥) أولاد أبو الليل: نفس المصدر السابق والمجلد والجزء، ص٧٣٣-٧٣٤.

(٦) ابن خلدون: العبر، مج٦، ص٦، الزركشى: المصدر السابق، ص٥٩، ابن القنفذ، الفارسية ص١٥٤.

والعداوة بينهما كانت أشد والسلطان الضعيف في موقف لا يحسد عليه[١] فقام علي الفور بإقصاء ابن الدباغ عن الحجابة[٢]. وحدد إقامته بالسعدية، فخرج الوزير ابن يزريكن في جيش عظيم وانضم إليه أولاد مهلهل وطائفة من الأعشاش[٣] وركب معهم الشيخ أبو يعقوب بن يزريكن كبير الوزراء وبقي السلطان بالمدينة يترقب عما ستسفر عنة المعركة ولكن جاءت الرياح بما لا تشتهي السفن، حيث هزم جيشه وقتل وزيره ابن يرزيكن[٤] وحرقة العرب بالثأر لمواقف كانت سابقة وتحرك السلطان أبو البقاء خالد وجيوشه إلي العاصمة فقابله السلطان الشهيد علي رأس جيش صغير وبعض المشاة في يوم الأربعاء ١٧ عام ٧٠٩هـ / أكتوبر ١٣٠١م والتقوا عند جامع الهواء ووقع بينهم قتالًا شديدًا وهرب الناس إلي السلطان أبى البقاء خالد، فبقي الشهيد وحده فرمي تاجه من رأسه وفر هاربًا[٥] حتى قبض عليه وقتل يوم الجمعة السابع والعشرين من ربيع الثاني سنة ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م بعد ولاية دامت

(١) الزركشى: المصدر السابق، ص٥٩،المطوى السيطرة، ص٣٠٧.

(٢) ابعد السلطان أبا بكر الشهيد ابن الدباغ عن رتبة الحجابة بسبب فساد ابن الدباغ واستعمال نفوذه بالأضافه إلي الحقد الذي كان يكنه له أيام السلطان أبو عصيدة، راجع. ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص٧٣٣، الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٨ – ٥٩.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص، ٧٣٤، الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٩.

(٤) الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٩.

(٥) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٥٤، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٤، ابن أبى دينار: المصدر السابق، ص ١٦٣، ابن الشماع: المصدر السابق، ص ٨٤، ابن الوزير السراج: المصدر السابق، ص ١٦٣، المطوي: السلطنة، ص ٣٠٩

سبعة عشر يومًا[١].

وخلاصة القول:

نجد هنا أن الوزير ابن يرزيكن وكبير الوزراء أبى يعقوب بن يزدوتن قاما بدور هام في الدفاع عن سلطانهم الصغير الضعيف إلي آخر لحظة حتى سقط ابن يرزيكن قتيلًا علي الرغم أن الوزير كان يمكنه الفرار فلماذا لم يهرب، فتكون الإجابة لو أنه هرب كانت سوف تتبعه جيوش السلطان أبى البقاء خالد لذلك حاول من الاستماتة في الحرب ضدهم وفي حالة الانتصار كان سيرتفع قدره أكثر من ذلك، بالإضافة إلي سيطرته علي السلطان وكذلك أمور الدولة المختلفة فلذلك قرر الموت في المعركة.

دور الوزير الأكبر ابن اللحياني ضد الاحتلال الأسباني لجربه:

عندما فشلت السلطة المركزية الحفصية المتمثلة في السلطان الضعيف أبى عصيدة ووزراؤه المستبدين الذين فشلوا في السيطرة علي أمور الدولة وإيقاف الشغب وإقرار الأمن مما أدي إلي انحطاط وتدهور أحوال الدول وجعلها مطمعًا للدول الأجنبية، مما جعل الوزير الأكبر ابن اللحياني يفكر في التخلي عن سلطانه، وجعل فكرة مساعدة ثوار جربه في التخلص من الاحتلال الأسباني فهب الوزير الأكبر لنجدتهم وقاد حملة عسكرية في يوم ٢٤ جمادي الثاني ٧٠٦هـ / ٣١ ديسمبر ١٣٠٦م بمحاصرة حصن القشتيل الذي كان بين

(١) ابن أبى الضياف: المصدر السابق، ص ٢١٦، ابن أبى دينار: المصدر السابق، ص ١٦٣ – ١٦٤، ابن الشماع: المصدر السابق، ص ٨٤، ابن الوزير السراج: المصدر السابق، ص ١٦٣.

أيدي النصارى ولكن بدون جدوى نظرًا لمناعة القلعة وشدة استحكامها واستمر الحصار لمدة شهرين حتى نفذ الزاد وانقطعت الأقوات[١].

وفشل في الاستيلاء علي الحصن أو ربما لوصول إمدادات نصرانية للحصن[٢] ولم يكن لكبير الوزراء صورة طبق الأصل عن استحكامات حصن القشتيل وعن قوته الدفاعية، وعن قدرة من فيه علي مواصلة الدفاع ومقاومة الحصار لما ادخروا فيه من الأقوات والسلاح ومقدرين بعد المسافة وبطء المواصلات في تلك العصور ولكن الوزير لم يجد حلًا سوي الانسحاب وعاد إلى قابس ونزل عند ابن مكي صاحب قابس ثم أتخذ الحج لينجو من الظروف المتدهورة للسلطة الحفصية والسلطان أبى عصيدة، ومعاهدته مع سلطان بجاية من أجل تسليم تونس له في حالة وفاة أبى عصيدة كما هو متفق بينهما[٣]، ولم يعرف بخروج كبير الوزراء للحج سوى ناس قليلون وخوفه من العامة صده عن رحلة الحج في وقت كانت الدولة تعيش فساد مظلم وانهيار، وهروبه من مسؤولية الحكم التي تدهورت بعد انهيار الدولة[٤] فقام الوزير الأكبر بإعادة الجيش إلي تونس ولم يذهب به إلي بلاد الجريد، وظل في قابس

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص٧٣٠، المطوي: السلطنة، ص ٣٠٣، التجاني: الرحلة، ص ١٢٨.

(٢) برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٥٥.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٢٩ – ٧٣٠، الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٨، التجاني: الرحلة، ص.

(٤) المطوي: السلطنة، ص ٣٠١.

مدة وأنتقل إلي طرابلس ومن هناك انضم إلي ركب الحج المغربي[١].

دور الوزير الحاجب ابن غمر في ثورة أبى بكر الحفصي ضد أخيه أبى البقاء خالد:

كان لانحراف السلطان أبى البقاء خالد وإخلاده إلي الملذات وانغماسه في الشهوات وفتكه بالكثير من رجال الدولة وزعماء القبائل والأعراب فسيطر عليه وزراؤه وازدادت الدولة ضعفًا علي ضعف وظهر منافسون له علي العرش الحفصي[٢] فقام الوزير الحاجب ابن عمر الذي كان يضمر الغدر والعداء للسلطان الحفصي أبى البقاء خالد الذي عين أبا بكر الحفصي علي قسطنطينية بناءًا علي رغبة وتوصية الوزير الحاجب ابن غمر[٣] الذي لتفق مع أبى بكر ويحرضه علي الثورة ضد أخيه، بشرط مساعدته مقابل أن يجعله حاجبًا ووزيره الأكبر في حالة استيلائه علي العاصمة والسلطة الحفصية[٤].

فارتاب السلطان في وزيره الحاجب وهذا ما شعر به ابن عمر من شك السلطان به فخاف من غمر به وقتله فهرب إلي قسطنطينية[٥] واندلعت الثورة في سنة ٧١١هـ / ١٣١١م حيث بادر ابن غمر إلي إعلان العصيان ووعي السلطان أبو بكر إليه فأجابه، وأخذ له البيعة وأعلن أبو بكر نفسه سلطان علي

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣١.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٦، المطوي: السلطنة، ص ٣١١.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٧، الزركشي: المصدر السابق، ص ٦٠، المطوي: السلطنة، ص ٣١٤، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٥٨.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٧

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٧، الزركشي: المصدر السابق، ص ٦٠

أفريقية وتلقب بالمتوكل علي الله وعسكر في قسطنطينية[١] وبادر علي الفور السلطان أبو البقاء خالد بتجهيز جيش لمحاربة الثوار وأخيه في قسطنطينية وجعل علي قيادته العلج ظافر الكبير وعسكر في بجايه بجيشه منتظرًا فرصة الهجوم علي أبى بكر[٢] وقام الوزير الحاجب ابن غمر بتأليب زعيم مغراوة الثائرين علي أبى البقاء[٣].

ولكن فشل فى أخذ البيعة من حاكم بيجايه أبى عبدالرحمن بن يعقوب بن الخلوف الذى تمسك بدعوه سلطان تونس أبى البقاء خالد[٤] وهنا فكر الحاجب الوزير ابن غمر في السلطان المنهك الضعيف فى السيطره على بجايه والاستيلاء عليها[٥] ومقاومه عبد الرحمن بن يعقوب مقاومة شديدة مستميتة وتمكن فى بادىء الأمر من التغلب على أبى بكر وأقصاه الى ميله[٦] وكان الوزير أبو زكرياء بن علام صهره هو ابن الخلوف حاكم بجايه الذى طلب منه المقاومة ضد الثائر والوزير الحاجب[٧] الى ان ظهر أبو زكرياء اللحيانى في تونس وادرك ماوصلت إليه الدولة من ضعف وتردى احوالها منذ أن اعتلى أبو البقاء خالد العرش واخذ البعض يحرضونه على الاستيلاء على تونس[٨]

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٧، ٧٣٨، المطوي: السلطنة، ص ٣١٤
(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٧، ٧٤١
(٣) برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٥٨ – ١٥٩
(٤) ابن خلدون:العبر، ج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٨
(٥) ابن خلدون:العبر، ج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٩
(٦)ابن خلدون: العبر،ج ٦، ج ١٢،ص ٧٣٩
(٧)المطوى:السلطنة، ص ٣١٥، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٧٣٩
(٨) المطوى:السلطنة،ص ٣١٦

وقام الوزير الحاجب ابن غمر بتحريضه على غزو تونس ويسهل عليه أمرها، وما اصبح عليه أبو البقاء خالد من ضعف وانصراف الى الهو والملذات، وتكدر نفوس العامة منه[١] وانتهت الثوره عندما دخل ابن اللحيانى العاصمة وتنازل أبو البقاء خالد عن العرش[٢] واستمر ابن الغمر يشجع ويغرى سلطنه لغزو تونس فى عهد ابن اللحيانى ووضع له الخطه من أجل السيطره على تونس، وجهز للسلطان جيشًا كبيرًا يضمن للسلطان الانتصار على ابن اللحيانى، وكان يهدف الوزير الحاجب إلى الاستيلاء على بجايه وبالفعل ترك بجايه تحت نفوذ وسيطره ابن غمر[٣].

الوزير الاكبر أبو زكرياء بن أبى علام ودفاعة عن العاصمة تونس:

عندما اتحدت أهداف أبى بكر الحفصى مع ابن اللحيانى ضد أخيه أبى البقاء خالد، فأرسل حاجبه الوزير ابن غمر إليه يحرضة ويقوى عزمه من أجل الزحف إلى تونس بجيوشه والاستيلاء على الحكم[٤] فتوافدت عليه زعماء قبائل الكعوب من أولاد أبى الليل وغيرهم[٥]، وعندما أتم الاستعداد تحرك جيشه بقياده وزيره الأكبر أبى عبدالله محمد بن محمد المزدورى[٦]، وسبق

(١) ابن القنفد:الفارسية،ص ١٥٦.

(٢) ابن خلدون:العبر، ج ٦،ج ١٢، ص ٧٤١ -٧٤٢، ابن القنفد:الفارسية، ص١٥٩، الزركشى: المصدر السابق.

(٣) ابن خلدون:العبر،مج ٦،ج ١٢، ص ٧٤٠.

(٤) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٤٠ ٧٤٢، ابن القنفد:الفارسية، ص١٦٠

(٥) ابن القنفد:الفارسية، ص ١٦٠، ابن خلدون:العبر، ج،،، ٦، ج ١٢، ص ٧٤٢.

(٦) ابن خلدون:العبر، مج٦، ج ١٢، ص ٧٤٢، برنشفيك:المرجع السابق، ج ١، ص ١٥٩.

الجيش أولاد أبو الليل لاستكشاف الطريق[١] وعندما وصلت الاخبار لأبى البقاء خالد ارسل الى قائده ظافر جيشًا يستحثه على المقاومة والحرب[٢] والتقى الجيشان ودارت بينهما معركه داميه وهزم جيش أبى البقاء خالد وتم القبض على قائد جيشه ظافر الكبير وواصل جيش ابن اللحيانى بقياده وزيره إلى تونس للاستيلاء على الحكم، وقابله بالمقاومه والصمود وزير أبى البقاء خالد وهو الشيخ أبو زكرياء بن أبى علام، الذى أعد العدة من أجل الدفاع عن العرش الحفصى المنقسم إلى ثلاثه سلاطين[٣]، ودارت معارك عده بين الجيشين فى جماده الآخره ٧١١هـ / ١٣١١م أثبت فيه الوزير ابن أبى علام مهارته الحربيه ومدى شجاعته فى المواقف الصعبه من أجل الدفاع عن سلطان الضعيف المستهتر ولكن كان لوزير ابن اللحيانى وقائد جيشه كلام آخر حيث حقق الانتصار على جيوش وقوات ابن أبى علام وقتله[٤] واستولى وزير ابن اللحيانى على القصر ثم جاء أبو يحيى اللحيانى فى ثانى رجب ٧١١هـ / ١٣١١م واستولى على الحكم[٥] وهنا نجد ان وزيراً قتل من اجل الدفاع عن منصبه وآخر ينتصر من أجل الحفاظ على منصبة والسيطرة على السلطان الجديد.

---

(١) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٤٢، الزركشى:المصدرالسابق، ابن القنفد: الفارسية ص ١٦٠

(٢) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٤٠، المطوى: السلطنة، ص ٣١٨.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٤٢، المطوى:السلطنة، ص٣١٦

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦- ج ١٢، ص ٧٤٢، ابن القنفد، الفارسية، ص ١٦٠، المطوى: السلطنة، ص٣١٨.

(٥) ابن خلدون: العبر، ج ٦، ج ١٢، ص ٧٤٢، ابن القنفد:الفارسية: ص ١٦٠، برنشفيك:المرجع السابق، ج١، ص ١٥٩، المطوى:السلطنة، ص ٣١٨.

وهنا نلاحظ ان الوزراء اشتدوا فى اثبات الذات من أجل المناصب والمحافظة عليها، فلجأ كل منهم إلى اثبات كفاءته من أجل السيطرة على السلاطين الضعاف الذين اعطوا الفرصة لتلاعب بهم والسيطرة على أمور البلاد.

دور الوزراء الحجاب فى زيادة حركات التمرد وضعف الدوله بعد هروب اللحيانى:

عندما توفى السلطان المستنصر دخلت الدولة الحفصية فى نفق مظلم من الفتن والثورات الداخلية الدامية، والانقسامات داخل صفوف الأسرة الحفصية وسيطرة الوزراء على السلاطين الضعاف[١] حيث ظهرت حكومات محلية مستقلة وتفاقم خطوره ودور الاعراب فى التحكم بالسلطة الى حد كبير واصبحت الحدود مهددة بالخطر بل متعرضة لاعتداءات ملوك تلمسان، واستولى النصارى من الخارج على الجزر التونسية وتدخلوا فى شئون الحفصين الداخليه فعندما تولى أبو يحى أبى بكر (١٣١٨هـ/١٣٤٦م) واجه كثير من الصعوبات متواصلة، حيث لعب بعض الوزراء الطموحين او خصوم السلطان الاعداء ومعهم بعض المطالبين بالعرش فى كل مكان من الدولة، ونجحوا أحيانًا فى السيطرة على العاصمة[٢] فنجد من الوزراء من استقل بحكم مدينة مثلما فعل الوزير الحاجب ابن غمر حيث ظل مستبدًا ببجاية مكتفيًا بذكر اسم السلطان أبى بكر الحفصى فى الخطبة، وقام بضرب اسمه على

(١) برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٧٢.

(٢) برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٥٧ ابن خلدون:العبر، ج ٦، ج ١٢، ص ٧٥٦ - ٧٥٧، المطوى: السلطنة: ص ٣٣٢ -٣٣٣.

السكه دون أن يقدر سلطانه على محاربته أو عزله[١].

وظل ابن غمر مستبدًا ببجاية وحاول السلطان استرداد بجايه مره آخرى عندما ارسل قائده اباعبدالله محمد للاستيلاء عليها ولكن ابن غمر استطاع رده ودحره، فطلب من السلطان ان يمده بالعسكر والسلاح فأجابه، ورضى عن السلطان وجعل له بجايه وقسطنطينه، فاستبد به ولكن كان سدًا منيعًا ضد هجمات بنى زيان بقيادة سلطانها العبد الوزى أبو حمو موسى الذى حاصر المدينة عام ٧١٩هـولكن ابن غمر صمد فى وجهه وجعله يعود ادراجه الى مكانه دون ان يتمكن من احتلال بجايه، ثم توفى ابن غمر بعد ذلك بمرض الزمه الفراش حتى مات فى شوال سنه ٧١٩ هـ[٢] وعندما توفى ابن غمر جعل السلطان ولديه محمد على بجايه، وعقد ليحيى على قسطنطينه رغم صغر سنهما، مما جعله يتخلى عن حاجبه ابن القالون ليكون مع ولديه على ان يقيم فى بجايه، ويكون صاحب النفوذ على كل من بجايه وقسطنطينة حتى يكون سد منيع ضد اى هجوم زيانى[٣].

وسيطر الوزير على الجيش فى بجايه وقسطنطينة وأمور تلك المنطقة بسبب صغر الأميرين، وكان صاحب الكلمة الاولى فى كل شىء[٤] مما أثار الحقد والضغينة لدى خصومه من وزراء السلطان بتونس، فبثوا فيه السعايات[٥] مما

(١) ابن خلدون:العبر، ج٦، ج١٢، ص ٧٥٧.
(٢) ابن خلدون: العبر، ج ٦، ج ١٢، ص ٨٥٧ -٨٥٨.
(٣) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٥٨.
(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص٨٥٨-٨٥٩.
(٥) المطوى: السلطنه، ص ٣٣٥.

جعله لايشعر بالاستقرار والاطمئنان فى منصبه الجديد[١] وبالفعل نجحت حاشية السلطان من وزراء وغيرها من عزله من منصبه[٢]، وكان لوزير الاشغال أبى القاسم بن عبد العزيز، وكذلك ابن عبدالعزيز المزوار دورهما فى عمليه عزله، وتوليه محمد بن سيد الناس على بجايه، مما جعل ابن القالون يقوم بمحاوله العصيان والثوره على السلطان، ولكن مشاعر المناصرين فى قسنطينة لم تستجب لتحريضاته، فقلب لهم ظهر المجن واتهمهم بالتأمر على السلطان أبى بكر، وبعث بهم الى تونس نكاية منهم وتنكيلًا بهم[٣].

ولكن السلطان أبا بكر اكتشف حقيقة الأمر ونبه ابن القالون للحاقدين عليه، وحاول تغطيه ذلك باتهامه لمشايخ قسنطينة، ولكن السلطان لم يظهر لابن القالون شيئا عندما استدعاه الى تونس، بل أمر الامر فى نفسه لحين قدوم الفرصه المناسبة لتخلص منه[٤].

ولكن انتهز الوزير الحاجب محمد بن القالون فرصه زحف محمد بن أبى عمر إلى تونس، لملاقاة السلطان أبى بكر فى سنه ٧٢١هـ/ ١٣٢١م، وتحالفًا سويًا ضد السلطان، والتقت اهدافهم ضد السلطة الحفصية، وكانت هذه الحملة مفاجئة للسطان ووزراؤه وجيوشه، التى لم تمكنه من صد ذلك

(١) ابن خلدون:العبر، مج٦، ج ١٢، ص ٧٥٩، المطوى:السلطنه، ص ٣٣٥.
(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٥٩.
(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٦١، المطوى:السلطنه، ص ٣٣٩، برنشفيك:المرجع السابق، ج ١، ص ١٧٦.
(٤) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٦١

الزحف[١] حيث سعى وزراء السلطان بالسعايه والشكوى من ابن القالون، حتى تبين للسلطان انحرافة وخيانته، وعندما علم ان الوزير ابن عمران دعاه للانضمام لهم والتخلى عن أبى بكر سلطان تونس وعندما خرج السلطان هاربًا تخلى عنه ابن القالون، ودعى الى بيته ابن أبى عمران الذى دخل المدينه وأخذ ابن القالون البيعه العامه له بينما بدأالسلطان أبو بكر من الاستعداد من اجل استرداد المدينه من بين يدى أبى عمران والوزير الخائن له، فأعد جيشه ونظمه وحشد كل قواته، وزحف على تونس وجرت بينه وبين خصومه عده معارك أنتهت باستيلائه على تونس فى صفر ٧٢٢هـ/١٣٢٢م.

واستمات وزراء ابن أبى عمران فى الدفاع عن المدينة وقتل كبير وزراؤه أبا عبدالله بن أبى بكر الذى ظهر دوره فى هذه المعركة من اجل البقاء فى منصبه وكذلك فعل ابن القالون[٢] ودخل السلطان أبو بكر العاصمة بعد انتصاره ولكنه لم يستمر البقاء فى الحاضره تونس سوى اربعين يومًا فقط لإن ابن أبى عمران تمكن من الاستيلاء على العاصمة مره آخرى بمساعده الاعراب وقائدهم حمزه بن عمر المسيطره على ابن أبى عمران، وغادر السلطان أبو بكر بصحبه وزراؤه الى مكانه المعتاد قسنطينه لترقب جيوشه[٣] وبعد ثمانية شهور[٤] استطاع بعدها من دخول تونس فى صفر ٧٢٣هـ/فبراير ١٣٢٣م[٥]

(١) المطوى:السلطنه، ص ٣٤٠

(٢) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص٧٦٢.

(٣) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٦٣، المطوى:السلطنه، ص ٣٤٠.

(٤) برنشفيك:المرجع السابق، ج ١، ص١٧٦.

(٥) المطوى:السلطنة:ص ٣٤١، برنشفيك: المرجع السابق، ج١، ص ١٧٦.

وقضى السلطان أبو بكر ووزراؤه على محمد ابن أبى جزيه وأنصاره من الأعراب وبنى زيان فى شعبان ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م، فولوا الأدباء الى تلمسان[١] ومازال دور الوزير الحاجب محمد بن القالون مستمرًا مع كل امير حفصى يحاول الاستيلاء على تونس، وبالفعل استطاع الانضمام إلى إبراهيم بن الشهيد أبى بكر بن أبى خطاب الحفصى واستطاعوا من الاستيلاء على تونس فى رجب ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م، فأنتصب إبراهيم بن الشهيد سلطانًا على تونس واتخذ على وزراؤه وحجابه محمد بن القالون ولكن تمكن السلطان أبو بكر من استرداد المدينة بعد اشهر قليلة من الاحتلال الذى أثبت فيه وزراء السلطان كفاءتهم القتالية واستطاعوا من استعاده واسترداد المدينة منهم بعد ان تخلى عنه مساعديه من سلاطين فى والاعراب[٢].

واستمر الصراع بين الوزراء على المناصب مع استمرار الصراع بين السلاطين والأمراء على الحكم حيث كان للوزير ابن سيد الناس دوره فى قتل الوزير الحاجب ابن القالون عندما أوصى مشايخ قفصه ان يقبضوا على حاشيته وموالى ابن القالون حتى انهال المرتزقة عليه وطعنوه بالخناجر إلى ان مات[٣] واستمر السلطان أبو بكر ووزراؤه فى مقاومه المطالبين للعرش، ولكن جاءت الخيانه مرة آخرى من أقرب وزراؤه إليه هو محمد بن سيد الناس الذى اختلف مع السلطان، فذهب إلى منزل أبى فارس عبدالعزيز وحرضه على العصيان والثورة ضد أخيه وغادر المدينة لإثاره الاعراب ضد السلطان

(١) ابن خلدون: العبر، مج٦، ج ١٢، ص ٧٦٤، المطوى:السلطنة، ص٣٤١.
(٢) المطوى: السلطنة، ص ٣٤١، برنشفيك: المرجع السابق، ج١، ص١٧٦، ١٧٧.
(٣) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٧٢

ومساندة أبى فارس عبدالعزيز، وما ان علم السلطان أبو بكر حتى جهز له جيشًا بقياده القائد محمد بن الحكيم وزير الجند، الذى لم يجد صعوبه تذكر فى القضاء على هذا الامير المدعى حيث حاصر جيشه المكون من العرب والنصارى البيت، ولما امتنع عن الاستسلام فاقتحموا عليه البيت وقتلوه طعنا بالرماح، وأتوا بجثته إلى العاصمة ودفن بها[١].

دور وزراء السلطان أبى بكر الحفصى فى القضاء على ثورة ابن عبد الجليل:

عند استبد يحيى بن محمد بن عبدالجليل من بنى عابد بقفصه، توجه السلطان أبو بكر الحفصى ومعه وزراؤه إلى هذه المنطقة لردها إلى أحواز السلطة الحفصية فقام السلطان ووزراؤه بمناصبة المدينة الحصار أيامًا بالمنجنيق[٢] وصمد الثأئر وجنوده داخل المدينة ولم يستجيبوا لنداءات السلطان الحفصى، فلجأ السلطان ووزراؤه إلى التهديد بقطع النخيل والاشجار اذا استمر الثائر ورجاله فى الصمود وعدم الاستسلام مما جعلهم يشعرون بالخطر ويخافون من سوء العاقبة وأيقن ابن عبدالجليل بأن الدائره ستكون عايه من الاهالى إذا أصروا على مواصله المقاومة وبقائه وحده فى الميدان، فأضطر إلى الاستسلام والخروج للسلطان أبى بكر، وطلب الامان فأمنه السلطان وبعث به مع حملة من قومه بنى عابد إلى تونس، كما فر الكثيرون من اسرته إلى قابس حيث يوجد ابن مكى المستبيد بها، وسلك

(١) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢١، ص ٧٧٤، المطوى:السلطنة، ص ٣٤٢، برنشفيك:المرجع السابق، ج١، ص ١٧٧.

(٢) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٨٦، ابن الشماع:المصدر السابق، ص ٩٠، برنشفيك:المرجع السابق، ج ١، ص ١٨٨، المطوى:السلطنة، ص ٣٥٧، الزركشى: المصدر السابق، ص ٧٢.

السلطان مع بقيه الناس سلوك طيب فشلهم بعطفه وإحسانه، وأحسن إليهم بالإسهام والاقطاع وتجديد ما بأيديهم من المكتوبات السلطانية[١] ثم ولى عليها ابنه أبى العباس وجعل له كبير وزراؤه أبى القاسم بن عتو وزيرًا له[٢] الذى استطاع ان يقضى على بنى مدافع المستبدين بنفطه جيث قضى على جذورهم وجعلهم آيه للمعتبرين[٣].

الوزير ابن الحكيم وخروجه على السلطان أبى بكر:

كانت المهديه ضمن أحواز سلطان تونس ولكن المدعو ابن عبد الغفار استطاع الاستيلاء عليها وخلع طاعة السلطان وأعلن العصيان والخروج على السلطة المركزية المتمثلة فى السلطان الحفصى ووزراؤه فأمر وزيره ابن الحكيم بالخروج الى المهدية وردها إلى حظيرة الدوله الحفصية، وبالفعل استطاع من الاستيلاء على المدينة عام ٣٣٩هـ/١٣٣٩م[٤].

يذكر ابن خلدون أنه عندما تم تعين محمد بن تافراجين على الوزارة وحجب السلطان فأنكر ذلك وظن ان السلطان كان يجب عليه اختياره هو أو ابن القاسم بن وارن مما جعله يترك فتوحاته فى بلاد جبل اوراس وعاد إلى الخضره فأمر السلطان ابن تافراحين بالقبض عليه[٥] ولكن استطاع الوزير ابن

(١) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٨٦، المطوى:السلطنة، ص ٣٥٨

(٢) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٨٦

(٣) المصدر السابق، مج ٦، ج ١٢، ص٧٩٩.

(٤) ابن أبى الضياف:المصدر السابق، ص ٢١٩، ابن دينار:المؤنس، ص ١٦٦، برنشفيك:المرجع السابق، ج ١، ص ١٨٨.

(٥) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٩٨، المطوى:السلطنه، ص ٣٥٨. راجع ابن

تافراحين من القبض على محمد بن الحكيم وعذبه بالسياط وأخذ جميع أمواله.

وقيل أن الذهب الذى أخذ منه وزنه خمسين قنطارًا سوى القصبة والمجوهرات والياقوت وغيرها[١] ولم استصفا أمواله خنقه بمحبسه فى رجب عام ٧٤٤هـ وهرب ولده مع انه إلى المشرق[٢].

دور وزراء السلطان أبو بكر فى إخضاع بنى مكى:

كان بنو مكى قوة وسكينة وشوكة قويه للدوله الحفصية واستطاعوا من فرض سيادتهم على قابس وجهاتها، وبلغت مطامح عبدالملك بن مكى أكثر من ذلك عندما ساند عبدالواحد بن اللحيانى وهاجموا مدينة تونس واصبح ابن مكى وزير وحاجبًا لابن اللحيانى، ولكن لم يدم ذلك الاخمسه عشر يومًا أذفر ابن اللحيانى ووزيره عبدالله بن مكى إلى معقلة بقابس[٣] وخوفًا من بطش السلطان أبو بكر، فذهب ابن مكى إلى السلطان أبى الحسن المرينى لتوسط له لدى السلطان ابا بكر. واستجاب السلطان المرينى لرغبة وقام بالواسطه أبو بكر الحفصى عنه واقرة على رئاسته بقابس بعد أن أشار عليه وزراؤه بذلك[٤].

وبإقرار عبدالملك بن مكى على قابس واعلانه الانقياد للسلطه المركزية

خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٩٧–٧٩٨.

(١) ابن خلدون /العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٩٨، ابن دينار: المصدر السابق، ص ١٦٩، ابن الشماع: المصدر السابق، ص ٩٠.

(٢) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج١٢، ص ٧٩٨.

(٣) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ت١٢، ص ١٨٠؛ الزركشى: المصدر السابق، ص٦٢٩.

(٤) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٠١؛المطوى:السلطنة، ص٣٦٠.

الحفصية ازداد نفوذ الدوله الحفصية عامة ونفوذ ولى العهد الامير أيا العباس ووزيره أبى القاسم بن عتو الذى لعب دورًا هامًا فى تمهيد المنطقة الجنوبية وتوطيد اركان الاستقرار والولاء فى جميع نواحيها[١] وبهذا استطاع السلطان وزراء السلطان أبى زكرياء من مساعدته فى تحقيق حلم الامير الحفصى أبى العباس ولى العهد عندما أصبح كامل الجنوب تحت نفوذه، كما تحققت خطة السلطان أبى زكرياء فى آن تصبح السلطنه الحفصية بكاملها موزعة على ابنائه يتولون شؤونها ولو ولو تحت كفالة وزراؤهم أصحاب الخبرات السياسية العليا[٢].

وزراء السلطان أبى بكر الحفصى والتنافس بينهم واضطراب امور الحكم:

كان للتنافس الشديد بين الوزراء الحفصين دوره فى إضعاف شوكه الدوله واحداث الاضطرابات داخل الدوله، فعندما تولى الوزير الاكبر محمد بن تافراحين الوزراه والحجاية للسلطان أبى بكر ومثل الوزير ابن الحكيم، أصبح ابن تافراحين مفوض فى كل شىء، فعقد على الوزراه لأخيه أبى العباس أحمد، وقدمه إلى قياده الجنود فى الحروب وأماره الضلحية، مما أثر قبائل بنى سليم فثأروا وأعلنوا الخلاف والعناد بعد مقتل حمزه بن عمر رئاسهم وكان سحيم من أولاد القوس بن حكيم[٣] حانق على ذلك وشجعه على ذلك الوزير والحاجب لولى العهد أبو القاسم بن عتو، فكان يناهض بنى تافراجين فى الزعامة والشرف وينافسهم فى المناصب والنفوذ، فحرض سحيم على قتل

(١) ابن خلدون: العبر، مج٦، ج١٢، ص ٨٠١.

(٢) المطوى: السلطنة، ص ٣٦١-٣٦٢.

(٣) ابن خلدون العبر: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٠٢.

الوزير أبى العباس بن تافراجين وزير الجند، وعندما خرج عام ٧٣٧هـ /١٣٣٧م لجباية هواره فوفد عليه سحيم وقوه وضايقوه فى الطلب، ثم انتهزوا الفرصة بعض الايام وهجموا عليه، فانفض جنوده من حوله ووقع من على فرسه فقتل وحملوا شلوه إلى الحضره فدفن بها واعلن سحيم الثورة والعصيان ضد السلطة الحفصية(١).

الوزير ابن تافراجين وبنى مكى:

عندما عاد ابن تافراجين من الحج إلى افريقيه بصحبة عمر بن حمزة زعيم أولاد أبى الليل من عرب الكعوب الذى لقيه أثناء الحج، وعادا سويًا واتفقا على التظاهر على السلطان الحفصى أبى الفصل، وتمكن عمر بن توحيد صفوف أولاد أبى الليل تحت طاعته، واتفقوا على التحرك إلى العاصمة وطلبوا من السلطان عزل. الوزير الحاجب ابن عتو وتعين ابن تافراجين فرفض السلطان، ولكنهم لجأوا إلى الخدعه والمكيدة ومكروا بالسلطان الفضل الحفصى، فأوهموه جميعهم إلى عقد صلح خارج المدينة، وانخدع السلطان ووافق على ذلك ولكنهم أحاطوا به وبحاشيته، واعتقلوهم وأذنوا الابن تافراجين بدخول تونس وبسط سلطانه عليها فى ١١جماد الاولى سنه ٧٥١هـ/ يوليو ١٣٥٠م(٢) وحينئذ أعلن لوزير الحاجب ابن تافراجين، عزل الفضل الحفصى، ومبايعه أحد أخوته وهو أبو إسحاق إبراهيم ابن أبى بكر الحفصى فأجلسه على كرسى الخلافة وكان لايزال صبيًا صغيرًا، واصبح السلطان الرسمى للبلاد وابن

(١) ابن خلدون العبر:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٠٣

(٢) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٢٧، ابن الشماغ:المصدر السابق، ص ١٠١، ابن أبى الضياف:المصدر السابق، ص٢٢٥-٢٢٦.

تافراجين هو المتحكم فى امور الدوله ومصالح البلاد كلها[١].

ولكن هذه الأوضاع لم تعجب ابن مكى صاحب قابس وجربه فأعلن التمرد والعصيان، وسخط على الوزير الحاجب ابن تافراجين لاستبداده بالسلطان ومنعه من التصرف فى أمور دولته لوجود عدوة قديمة بينهما.

وحاول ابن مكى إيجاد كل فرصة لاقصاء ابن تافراجين عن الوزار هو القضاء على نفوذه[٢] بل قام بنو مكى بتأليف الرأى العام ضد ابن تافراجين وسلطانه الصبى، فاتصلوا بأولاد مهلهل خصوم اولاد أبى الليل ومنافسيهم فى رئاسة الكعوب[٣] فوجدوا استجابة كبيرة من جهتهم واشتد أزر أولاد مهلهل بتحلفهم مع بنى حكيم من قبائل علاق، وشرعت هذه القبائل المتحالفة لشن الغارات على تونس العاصمة وضواحيها دون أن تتمكن من التغلب على ابن تافراجين وإزالة سلطانه الصبى، فقاموا بالاتصال بشخصيه حفصيه آخرى، فأختاروا ابازيد عبدالرحمن بن محمد بن أبى بكر الحفصى حاكم قسنطينة فذهبوا إليه وأخذوا يشجعونه على التحرك إلى الحضره واستخلاص ملك آبائه من الوزير المستبد والسلطان الصبى[٤] فاستجاب لإغراءات القبائل، فأرسل جيشًا تحت قياده العلج ميمون صحبة القبائل المتحالفة[٥] وتحرك الجيش صوب تونس وعندما ترامت هذه

(١) ابن خلدون:العبر، مح ٦، ج ١٢، ص ٨٢٨، الزركشى: المصدر السابق، ص ٩٢، ابن الشماع:الادله، ص ١٠١-١٠٢، ابن أبى الضياف:المصدر السابق، ص ٢٢٦.

(٢) ابن خلدون:العبر، مج ٦،ج ١٢، ص ٨٢٨.

(٣) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٢٩

(٤) ابن خلدون:العبر، مج ٦،ج ١٢، ص ٨٢٩، المطوى:السلطنة، ص ٤١٦.

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٢٩، الزركشى: المصدر السابق، ص٩٣، المطوى:

الأنباء للوزير الحاجب ابن تافراجين، فجهز قواته أقوى تجهيز واستعد جيدًا للحرب وأرسل جيشه تحت قياده قتيبة ابن أبى الليل لصد هذا الهجوم، والتقى الجيشان فى بلاد هواره شرقى القطر الجزائرى، فكانت الهزيمة لأولاد أبى الليل وسقط قتيبه قتيلًا فى المعركة، وتولى أخوه خالد بن حمزه الجيوش التى عادت إلى تونس، وامتدت عساكر التحالف فى البلاد، وجبوا الأموال ووصلوا إلى تونس ثم قفلوا إلى قسنطينة[١] واستمر ابن مكى فى تحريض أبى زيد عبد الرحمن فى غزو افريقيه وطرد ابن تافراجين والسلطان الصبى وعاهده على امداده بالاموال والسلع وعطايا الأعراب وجمع القبائل معه فاستجاب له مره آخرى وبالفعل وصل ابن مكى وجيوشه من القبائل الى قسنطينة، قابلة أبو زيد عبد الرحمن وقلده منصب الحجابه والوزاره، وجعل له إداره شئون الإماره واستعداد لدخول تونس، وقام ابن تافراجين يجهز جيشًا ليس تحت قيادته ولكن جعل القياده للسلطان الطفل الملقب بالمستنصر بالله وذوده بالعتاد والرجال وجعل معه فى القياده الشيخ محمد بن نزار والتقى الجمعان فى مرماجنة(*) ولكن لقى جيش الوزير ابن تافراجين الهزيمة وفروا منهزمين وهرب السلطان الصبى إلى تونس مع بعض جنوده[٢].

السلطنه، ص٤١٧.

(١) ابن خلدون:العبر، مج٦، ج ١٢، ص ٨٢٩، الزركشى: المصدر السابق، ص ٩٢، المطوى: السلطنه، ص٤١٧، برنشفيك:المرجع السابق، ج١، ص٢٠٥.

(*) مرماجنه: احدى بلاد هواره بصحراء المغرب الاوسط على مقربه من الاريس، وهى مدينة قديمه أزليه، اشتهرت بوفره الخيرات ومزارع القمح والشعير، راجع: مجهول: الاستبصار، ص ١٦٢؛ الادريسى: المصدر السابق، ص ١١٨

(٢)ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٢٩، المطوى:السلطنة، ص ٤١٦، السيد كمال أبو مصطفى:دراسات، ص٧١.

وتتبع جيش التحالف بقيادة ابن مكى وابو زيد عبد الرحمن فلول المنهزمين حتى وصلوا الى اسوار تونس، وحاصروها اياما ولكن امتنعت عليهم فرحلوا الى القيروان ثم الى قفصة[١] وأخيرا عندما أحسوا بالاخطار تهدد ولايته عاد اليها، حيث شجع ابن تافراجين اباعنان المرينى للاستيلاء على قسنطينة من ناحيه والامير أبو عبدالله محمد الحفصى صاحب بجايه يريد هو الآخر الاستيلاء على قسنطينة وبذلك فشل التحالف القبائلى بقياده بنى مكى وأبو زيد بن عبدالرحمن صاحب قسنطينة[٢].

الوزير ابن تافراجين ودوره فى استرداد جربه من بنى مكى:

عندما استقل أحمد بن مكي بجزيرة جربة وأصبحت خاضعة لنفوذه وسيطرته حتى نقم اهلها على ابن مكى بسبب تعسفهم وقسوتهم عليهم، فبعثوا الى ابن تافراجين بتونس مندوبًا عنهم سرًا، فانتهزها الوزير فرصة حقيقية للانتقام من عدوة الدود واسترداد جربه الى الدولة الحفصية واسترجاع وحدة اراضيها[٣] فقام على الفور بتجهيز جنوده وجيوشه من اجل هذا الهدف، وجعل على رأس هذا الجيش ابنه محمد بن تافراجين الذى تمكن من

(١) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٣٠، الزركشى: المصدر السابق، ص ٩٣، المطوى:السلطنة، ص ٤١٩، السيد كمال أبو مصطفى: دراسات، ص٧١

(٢) ابن خلدون:العبر، مج٦، ج ١٢، ص ٨٣٠-٨٣١، النعرين بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا، دار الكتاب المصرى واللبنانى، ١٩٧٩، ص ٧٥-٥٨، الزركشى: المصدر السابق، ص ٩٣، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٠٥ -٢٠٦.

(٣) ابن خلدون:العبر، مح ٦، ج ١٢، ص ٨٤٦، ابن الجيلانى الجربى: علماء جربة تحقيق محمد قوجة، دار الغرب الاسلامى، ج ١١، بيروت ١٩٨٩، ص ٤٧، برنشفيك، المرجع السابق، ج ١، ص ٢٠٤، المطوى:السلطنة، ص ٤٤٥، السيد كمال أبو مصطفى: دراسات، ص ٧٥.

النزول بجربه وشدد الحصار على قلعتها ثم افتتحها عنوة، واستولى بذلك على جزيره جربه عام ٧٦٣هـ وأقام بها الدعوة للسلطان أبى اسحاق الحفصى ثم عاد إلى تونس ثم ولى عليها محمد بن أبى العيون[١] وباسترجاع أبى عبدالله محمد لمدينة جربة عادت الدولة الحفصية إلى ذويها من بنى حفص ولكن ظلت الدولة مقسمة مثلما كانت قبل الاستيلاء المرينى عليها فبجايه يتولاها أبو عبدالله محمد، وقسنطينة عليها ابن عمه أبو العباس أحمد أما تونس فكان يتولاها عمهما أبو اسحاق[٢].

الوزير الحاجب محمد بن تافراجين وعصيانه السلطان أبى اسحاق:

عندما توفى الحاجب الوزير ابن تافراجين سنة ٧٧٦هـ/ ١٤٦٤م وشيع السلطان أبو اسحاق جنازته فى مشهد لاينسى من ذاكرة التاريخ حيث وقف السلطان على قبره باكيا[٣] وكان ابنه محمد خارج العاصمة يمهد الاحوال ويجمع الجبايه من بلاد الساحل، وعندما علم بوفاة والده أساء الظن بالسلطان أبى اسحاق الحفصى، وشك فى نواياه من إبعاده عن النفوذ وينتقم منه، ولهذا قرر عدم الخضوع للسلطان أبى اسحاق وأعلن العصيان وعدم الطاعة،

(١) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٤٧ الشيخ سليمان بن أحمد الجيلانى الجربى: المصدر السابق، ص ٤٧، الزركشى: المصدر السابق، ص ١٠١، محمد أبو راس الجربى: مؤنس الاحبه فى أخبار جربة، طبعة تونس، ١٩٦٠، ص ١٠٣ هامش؛ راضوان البارودى: جزيه جربه التونسية نشر دار الفكر العربى، القاهره، ١٩٩٠، ص ٣٢ -٣٣.

(٢) المطوى: السلطنة، ص ٤٦، برنشفيك:المرجع السابق، ص ١١.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٥٦؛الزركشى: المصدر السابق، ص ١٠١، المطوى: السلطنة، ص ٤٦٧.

وأرسل ماكان معه من جند الى العاصمة، وتحرك للبحث عن مساندين وحلفاء آخرين ضد السلطان، فأرسل صاحب المهدية وجربة الذين كان يتوقع استجابتهما له، ولكن كان ردهما بالرفض، فأحس السلطان أبو أسحاق بضروره السيطرة على ابن تافراجين الابن خوفًا من ازدياد نفوذه بالارسال اليه وأمنه وجلبه إلى الحضره فلم يجد محمد ابن تافراجين من يقبل عرض السلطان بعد ان تخلى عنه صاحب المهدية وجربه فقبل العودة الى السلطان أبى اسحاق وتلقاه السلطان بالبر والترحيب وقلده حجابته ووزراؤه وانزله مراتب العز والتنويه[١] وسرعان ماساءت العلاقات بين السلطان أبى اسحاق ووزيره الحاجب محمد بن تافراجين لأنكاره ما فعل السلطان به من تهميش لدوره وخرج السلطان للناس، فأظلم الجو بينهما ودبت بينهما عقارب الوشايه والسفايه من المنافسين له من الوزراء، فهرب ابن تافراجين إلى قبائل لولد مهلهل فاستمالهم اليه الأصغاء على كلمته[٢] وذهبوا معه إلى قسنطينة واستقر عند السلطان أبى العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر الحفصى، وأخذ يدعوه لغزو تونس والاستيلاء عليها، ومدى تردى الاوضاع التى تساعده فى الاستيلاء عليها.

وخلاصة القول، نجد أن الوزراء لعبوا دورًا هامًا سواء في القضاء على الفتن والثورات أو في إشعال نار الفتن والثورات في وجه السلطة الحفصية.

---

(١) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج١٢، ص ٨٥٦، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٧٦، الزركشى: المصدر السابق، ص١٠٢، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢١٣.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٨٥٧، المطوى: السلطنة، ص ٤٧٠.

الوزراء والبيعة ونظام وراثة العرش

تعرف البيعة[١] بأنها العهد علي الطاعة، فالمبايع يعاهد ولي أمره علي أنه يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك ويطيعه فيما يكلفه به من أمور[٢] وعلي الرعية حسن الطاعة وصدق المؤازرة والتعظيم له، وترك الخلاف وعدم الخروج عليه[٣] وكان نظام الحكم في الدولة الحفصية قائمًا علي نظام الوراثة، الذي يعطي الحق لولي العهد في تولي عرش البلاد، واعتبر هذا النظم الوسيلة الأساسية لتولي الحكم، فكان السلطان الحفصي يختار من يناسبه من أبنائه ليكون واليا للعهد[٤] وكانت البيعة في الدولة الحفصية تتم لوالي العهد علي مرحلتين، وهما البيعة الخاصة حيث يبايع فيها

(١) البيعة: جمعها بيعات، فيقال بايع فلان الخليفة يبايعه مبايعه ومعناها المعاقدة والمعاهدة وهي شبيهة البيع الحقيقي، القلقشندى: صبح الاعشي، ج٩، ص٢٨١.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ج ١، ص١٧٤.

(٣) أبو الحسن الماوردي: نصيحة الملوك، تحقيق فؤاد عبد المنعم احمد، مؤسسة شباب الجامعة والاسكندرية، ١٩٨٨، ص٩٧ ولقد مجد الله سبحانه وتعالى البيعة وحض المسلمين علي احترام من يبايعونه، لان مبايعة أولي الأمر تعتبر مبايعة لله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١٠)**﴾ صدق الله العظيم سورة الفتح، الآية (١٠) ويقول سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۖ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)**﴾ النساء، الآية (٥٩) راجع الماوردي: المصدر السابق، ص٦٧-٦٨، رشا سالم: المرجع السابق، ص٧٠.

(٤) منى سيد عبد العزيز، المرجع السابق، ص١٩٧.

أهل الحل والعقد من شيوخ الدولة ووزراؤها ولي العهد[١] وذلك عندما يحلف الأشياخ والوزراء والقضاة والأئمة بيمين الطاعة والولاء.

ثم يقوم ولي العهد الحلفان أمامهم علي حسن السير[٢] لأن السلطان الحفصي كان يختار من هو الأكثر كفاءة وجدارة بممارسة السلطة وتسيير شئون الدولة[٣] وإذا تم أخذ العهد علي الوزراء وشيوخ الدولة والعلماء والقضاة والأئمة تبدأ المرحلة الثانية وهي تقديم ولي العهد للناس من أجل مبايعته، والاحتفال به، حيث تقرع الطبول إعلانا بذلك، ويقوم الخطباء بالدعاء لولي العهد بعد الخليفة أبيه في خطبة يوم الجمعة علي جميع منابر مساجد الدولة[٤]وبعد أن يصبح الأمير الخليفة الرسمي الشرعي تستقر الأمور، ويتولي شئون الدولة لأنه صاحب أعلي سلطة في البلاد، لأنه ممثل السلطة المركزية من الناحية الإدارية، فهو صاحب الكلمة الأولي في تعيين الولاة للحرف، وخاصة المدن الكبيرة تكون من نصيب أبنائه[٥].

---

(١) ابن خلدون: العبر، مج٦، ج١٢، ص٦٢٠، الحريري، تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٤٠ -٢٦٢، مني سيد عبد العزيز، المرجع السابق، ص١٩٨.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج٦، ج١٢، ص٦٢٠، مني سيد عبد العزيز، المرجع السابق، ص١٩٨.

(٣) المطوي: السلطنة، ص١٦٣، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص٦٢٠.

(٤) ابن القنفذ: الفارسية، ص١٥٢، الزركشي: المصدر السابق، ص٢٨، ٣٠، الوزان، وصف أفريقيا، ص٤٥١، أحمد ابن أبى الضياف: المصدر السابق، ص١٧٣، ابن خلدون: العبر، مج٦، ج١٢، ص٦٢٠.

(٥) كان سلاطين بن حفص يختارون اكبر أبنائهم لتولي إدارة المدن الكبرى، فنجد ذلك واضحا عندما عقد أبو زكرياء لابنه أبى يحيي زكريا علي ثغر بجاية وجعل له النظر في سائر أعمالها من

وانعكست قوة السلطان علي الوزراء، فإذا كان السلطان قويا ومسيطرا علي رجال دولته من التدخل في شئون الحكم، ولكن هذا لم يمنع الوزراء وكبار الدولة الذين تدخلوا في اختيار ولي العهد عندما يتوفي السلطان (الخليفة) الضعيف دون أن يعين له وريثا، مما أثار وأشعل الوزراء ورجال الدولة المستبدين فيقوموا بأخيار الخليفة[١] وذلك حسب ما يروق لهم ويجعلهم في مكانه اعلي من الدولة الحفصية وأكثر استبدادا علي أمور الحكم. وهو ما حدث عندما تولي محمد بن أبى عبد الله أبى الحسين الوزراء فسيطر علي السلطان أبى زكرياءء الحفصي حتى غلبه علي هداه وسيطر علي مقاليد الحكم، وكرر الوزير نفس الاستبداد والسيطرة علي المستنصر بالله الذي ساعده علي ذلك حتى تنكر له، وقبض عليه، بحجة مداخلة الوزير لأبي القاسم بن مخدومة أبى زيد بن الشيخ أبى محمد؛ فاعتقله السلطان لمدة تسعة أشهر بعدما عاد ومكانة من مكانة وقضي علي أعدائه[٢] واستولي علي أمور السلطان المستنصر لا يشاركه في الأمور احد؛ فعلت سطوته وسيطرته ولم

الجزائر وقسطنطينية وبونه والزاب. راجع ابن خلدون: العبر مج٦، ج١٢، ص٦١٩-٦٢٠، ابن القنفذ: الفارسية، ص١٦٥، الحسن الوزان، المصدر السابق ص ٤٤٥، ٤٥١، أحمد بن الضياف، إتحاف الزمان، ج١، ص١٦٤. نلاحظ أن نظام الحكم في الدولة الحفصيه مثله مثل باقي الدول الاسلاميه من حيث النظام الوراثي للحكم بعيدا عن الشورى التي أوصي بها الإسلام.

(١) ابن القنفذ: المصدر السابق، ص١٦٥، ص٤، رشا سالم: المرجع السابق، ص٧٠، مني سيد عبد العزيز، المرجع السابق، ص١٩٨.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص٦٧٢، المطوي: السلطنة الحفصيه، ص١٧٨

يفعل السلطان الحفصي شيئا حتى توفي الوزير عام ٦٧١هـ[١].

ولكن استمر تدخل الوزراء في اختيار ولي العهد واخذ البيعة له، وذلك في نهاية عهد المستنصر الذي لم يعين ولي للعهد رغم مرضه الشديد؛ ولكن عندما توفي المستنصر قام الوزير سعيد بن يوسف بن أبى الحسين بأخذ البيعة للسلطان الواثق يحيي بن المستنصر حيث بايعه الموحدون وجميع الناس علي مختلف طبقاتهم[٢] في ليلة وفاة والده؛ ثم تتبع الناس لبيعته تحت إشراف الوزير ابن أبى الحسين[٣] الذي كان له أغراض شخصية تعود عليها، وترفع من شأنه ورفع ثروته وتزيد من نفوذه داخل الدولة، وذلك لمعرفته بان السلطان الجديد (ولي العهد) يحيي بن الواثق ضعيف الشخصية وقليل التدبير ووهن العزيمة[٤] وأصبح ألعوبة في أيدي رجال دولته[٥] الأقوياء الذين كان لهم تأثير واضح علي ولاية العهد واختيار الخلف؛ حيث ظهر التضامن بين الوزراء والشخصيات الأندلسية الهامة التي احتضنها البلاط الحفصي ومنحهم المناصب الحساسة في الدولة؛ وساد التآمر والغدر من اجل المناصب واكتساب النفوذ[٦] وظل حتى قام الفقيه أبو الحسن يحيى بن أبى مروان

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص٦٧٢، ابن القنفذ: الفارسية، ص١٢٤

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٦٧٦، الزركشي: المصدر السابق، ص٤٠-٤١.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٦٧٦، الزركشي: المصدر السابق، ص٤١، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٤.

(٤) ابن القنفذ: الفارسية، ص١٣٥، المطوي السلطنة، ص٢٣٠.

(٥) ابن القنفذ الفارسية، ص١٣٥.

(٦) المطوي: السلطنة، ص٣٣٠.

الأندلسي الحميري المشهور بالخبير[١] بالقبض علي هذا الوزير أبى عثمان سنة ٦٧٦هـ واستولي علي أمواله، وظل الوزير تحت العذاب والضرب حتى توفي في ١٢ ذي الحجة من نفس العام[٢] يوم الخميس[٣] وأخرجت جثته إلي دار صاحب الشرطة؛ ووجهت إلي خادميه ابن صياد وابن ياسين؛ وقيل لهما هذا صاحبكما قد مات، وطلب منهما معرفة أماكن ثرواته وكنوزه فأنكرا ولكن ابن ياسين قدم مالا وأُطلق سراحه، ولكن ابن الصياد ورجاله رفض وقتل تحت العذاب[٤].

وهكذا استمر أيضا تدخل الوزراء في اختيار ولاة العهد، وكان السلطان الحفصي أيضا يختار واليا للعهد أثناء حكمه، وهذا ما فعله السلطان أبو إسحاق عندما عين اكبر أبناءه وهو أبو فارس وليا للعهد وأيده في ذلك وزراؤه ابن أبى هلال الهنتاني كبير الوزراء ووزير المالية أبو القاسم أحمد بن الشيخ[٥] وأحمد بن سيد الناس صاحب المكان الأولي لدي السلطان الحفصي الوزير الحاجب المسيطر علي ولي العهد والمخطط له والقريب منه مما جعل باقي الوزراء يشعرون بالغيرة اتجاه، فانتشرت بين الوزراء الوشيات والغيرة

(١) كان الفقيه أبو الحسن يحيي كبير الإعجاب بنفسه مفرط التعسف، مشتغلا بأمور الفخامة والبناء وأنواع الملابس واقتناء الذخائر، وكان السلطان الواثق ألعوبة في يده.
راجع ابن القنفذ: الفارسية، ص١٣٤ – ١٣٥، ابن الشماع: المصدر السابق، ص٧٤ – ٧٥

(٢) ابن خلدون: العبر، مج٦، ج١٢، ص٦٧٨، ابن القنفذ: الفارسية، ص١٣٥، الزركشي: المصدر السابق: ص٤١.

(٣) الزركشي: المصدر السابق، ص٤١.

(٤) الزركشي: المصدر السابق، ص٤١، ابن القنفذ: الفارسية، المطوي: السلطنة، ص ٢٣٣

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٦٨٤، برنشفيك: المرجع السابق، ج١، ص١١١.

من مركز وسلطة ابن سيد الناس[١] وكان قرب هذا الوزير من ولي العهد والسلطان الحفصي سببا في قتله[٢] فجعل ولي العهد مستاء لهذا العمل الإجرامي استياءًا كبيرًا بسبب حبه الشديد لوزيره الخاص ابن سيد الناس مما جعل السلطان يقدم لولي عهده التعازي ويظهر له حزنه الشديد لمقتل ابن سيد الناس واسترضي ولي عهده وبين له أن سبب القتل هو أن ابن سيد الناس كان يفكر في قلب نظام السلطة ويقضي علي العائلة الحفصية محاولا إقناعه بالقتل[٣] ولكن تطورت الأحداث في نهاية السلطان الواثق عندما تجرد ولي العهد من العطف والإقدام. ومنع والده من دخول قصره ببجاية حتى يتنازل له عن السلطة وكل شيء، وأشهد عليه الملأ من الموحدين ببجاية[٤] وبايعوا أبا فارس عبد العزيز بتنازل والده الطريد من الحكم.

ولعب وزيره[٥] وصاحبه الجديد محمد بن أبى الحسين ومحمد بن خلدون والوزير بن الفازازي دورا كبيرا في تنازل السلطان عن الملك ومبايعة السلطان الجديد أبى فارس عبد العزيز[٦] ووصل الضلال في البيعة أشده في تونس عندما هرب السلطان أبو إسحاق منها ودخلها الدعي أبو عماره حيث بايعه

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٦٨٤، المطوي: السلطنة، ص٢٤٠.

(٢) الزركشي: المصدر السابق، ص ٤٤، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص١١٢.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص٦٨٥، ابن الخطيب: الإحاطة، المطوي: السلطنة، ص٢٤١.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٩٣، الزركشي: المصدر السابق، ص٤٦، ابن القنفذ: الفارسية، ص١٤٢.

(٥) الزركشي: المصدر السابق، ص٤٤، ٤٨.

(٦) المطوي: السلطنة، ص٢٥٠.

الناس علي انه الفضل بن أبى زكرياء يحيي الواثق الحفصي، ولكنه لا يمت للبيت الحفصي بصله، ولكنه استعمل القسوة هو وكبير وزراؤه موسى بن ياسين ووزيره أبو محمد عبد الحق بن تافراجين ضد الناس، فبايعه الجميع[١]، ولكن السلطان عمر الحفصي كانت لبيعته مذاق خاص عندما أحيا الدولة الحفصيه وأعاد إليها ملك إفريقية، وذلك عندما انتصر على ابن أبى عماره بمساعدة وزراؤه محمد بن القاسم بن إدريس الفازازي، أبى الحسن بن أبى بكر بن سيد الناس ومحمد بن بكر بن خلدون[٢] فقاموا بأخذ البيعة له يوم الأربعاء ٢٥ لربيع الأخر ٦٨٣هـ / ١٢٨٤م[٣] تلك البيعة التي حققت الأمن لافريقية الحفصيه والعدل والسلم للناس[٤].

ولكن السلطان أبى عمر الحفصي عندما اشتد عليه المرض في آخر أيامه لم يكن قد عين وليا للعهد، ووصل الأمر إلي تعيين طفل لم يبلغ الحلم وليا للعهد من بعده، وتكون الفرصة سانحة إلي الوزراء من أجل السيطرة علي السلطان الصغير. ولكن هناك من اعترض علي الطفل من أهل الشورى الموحدين وأعلنوا عن عدم رضاهم عن ذلك الاختيار، فبلغ السلطان اعتراضهم[٥] فكان هذا السلطان حريصا علي مصلحة البلاد فعدل عن تولية ابنه بعد عشرة

(١)الزركشي: المصدر السابق، ص٤٦ – ٤٧، ابن القنفذ: الفارسية، ص١٤٤.

(٢) المطوي: السلطنة، ص٢٦٧.

(٣) الزركشي: المصدر السابق، ص٥٠-٥١، المطوي: السلطنة، ص٢٦٥، برنشفيك: المرجع السابق، ج١، ص١٢١.

(٤) برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٢١، ابن القنفذ: الفارسية، ص١٤٨.

(٥) الزركشي: المصدر السابق، ص٥٣، ابن القنفذ: المصدر السابق، ص١٥٢، برنشفيك: المرجع السابق، ج١، ص١٤٢.

أيام من إعلانه ولايته للعهد، وهنا لم يلجأ السلطان إلي وزراؤه وحاشيته وهم الحل والعقد وإنما لجأ إلي الشيخ المرجاني الذي رشح له أبا عصيدة[١] ولكن سعي الوزراء إلي تعين الطفل عبد الله بن عمر الحفصي[٢].

ولكن عندما توفى السلطان أبو حفص اجتمع الملأ من الموحدين والأولياء والجند كافه من اجل البيعة لمحمد الواثق أبى عصيدة الذي لم يكن أكثر تمييزا عن ابن أبى حفص عمر، حيث كان أيضا طفلا لا يتحمل أي مسئولية[٣] مما جعله ألعوبة في أيدي وزراؤه حيث كان سنه عندئذ لم يتجاوز الخمس عشرة سنة[٤] واشتد الصراع بين وزراؤه حتى قتلوا ابن السلطان عمر الحفصي للتخلص منه خوفا من مطالبته للعرش وتفويت الفرصة على من يساندونه للعرش الحفصي مثل الوزير أبى محمد عن الحق بن سليمان الذي قبض عليه أيضا وزج به في السجن، وانفرد الوزير الأكبر أبو يحيي زكرياء بن اللحياني بالسلطان الصغير وتدبير شئون الدولة[٥].

وهنا نجد أن البيعة أصبحت مصدرا من مصادر انهيار الدولة حيث

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص، الزركشي: المصدر السابق، ص٥٤، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٥٢، ابن الضياف: المصدر السابق، ص، برنشفيك: المرجع السابق، ج١، ص١٤٢.

(٢) المطوي: السلطنة، ص ٢٨٧، برنشفيك: المرجع السابق، ص١٤٢.

(٣) برنشفيك: المرجع السابق، ج١، ص١٤٢، المطوي: السلطنة، ص٢٨٧.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج٦، ج١٢، ص٧١٢، ابن القنفذ: الفارسية، ص٥٤.

(٥) ابن القنفذ: المصدر السابق، ص٥٤، ابن خلدون: العبر، مج٦، ج١٢، ص٢١٧، برنشفيك: المرجع السابق، ج١، ص١٤٢، المطوي: السلطنة، ص ٢٨٨.

الصراع بين الوزراء علي من يتولي فكل وزير له ولي عهد يريد إن يحكم الدولة الحفصيه من اجل أن يتحكم فيه الوزير ويتحكم في جميع أمور الدولة وفي الانقسام الحفصي بين تونس وبجاية نجد أن أبا زكرياءء يحيي صاحب بجاية المنشق عن العاصمة تونس، كان يري نفسه أحق بالسلطة من غيره، وعند وفاته عهد بولاية العهد إلي ابنه أبى البقاء خالد وأخذ وزراء والده البيعة له[١] وهنا نلاحظ أن البيعة مقسمه في الدولة الحفصيه فهناك بيعة تتم في تونس العاصمة وبيعه آخري تتم في بجاية اكبر من الثانية للدولة الحفصية وكل وزراء سلطان حفصي يريدون السيطرة علي الأخرى حتى يسطرو علي جميع البلاد الحفصية، وللوزراء دور هام في كل بيعه فنجد أن الأمير أبو زكرياءء جمع وزراؤه وكبار الموحدين وطبقات الجند وبايعوا أبا البقاء خالد ثم بويع البيعة العامة[٢] وعندما توفي السلطان أبو عصيدة قام شيوخ الموحدين والوزراء بمبايعة احد أبناء عمومة السلطان الراحل يوم الثلاثاء ١٠ ربيع الآخر ٧٠٩هـ وهو شخص خامل الذكر ضعيف الشخصية من ذرية السلطان أبى زكرياءء الأول يدعي أبو يحيي أبو بكر زيد عبد الرحمن بن أبى يحيي أبى زكرياءء، وقام الوزراء بنقض الاتفاقية المبرمة سابقا مع السلطان أبى البقاء خالد من توحيد

(١) ابن خلدون: العبر، مج٦، ج١٢، ص٧١٨، الزركشي: المصدر السابق، ص، ابن القنفذ: الفارسية، ص١٥٧، المطوي: السلطنة، ص٢٩٢.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٧١٨. فنجد أبى البقاء خالد جعل يحيي بن أبى علام وزيرا، وابن أبى يحيي حاجبا له، وكبير الوزراء أبا زكريا يحيي ابن زكرياء، وعبد الرحمن يعقوب بن خلوف وزيرا. راجع ابن خلدون: العبر، مج٦، ج١٢، ص٧١٨.

الدولة الحفصية[١].

وكان الهدف من هذه البيعة المحافظة علي مناصبهم وخوفهم علي أنفسهم[٢] وكان للحاجب الوزير ابن الدباغ والوزير ابن يرزيكن[٣] دور واضح وكبير في بيعة السلطان أبى زكرياءء عبد الرحمن وكانت هذه هي البيعة الخاصة، ولم تتحدث المصادر عن البيعة العامة لأهل تونس والأقاليم للسلطان أبى بكر بن عبد الرحمن، وذلك قد يكون سبب وصول السلطان ابن البقاء خالد إلى مشارف العاصمة تونس من أجل توحيد الدولة والاستيلاء علي الحكم، وعندما انتصر السلطان أبو البقاء خالد علي السلطان صاحب البيعة أبى بكر بن عبد الرحمن وقبض عليه وقتله[٤]، جلس للبيعة في حضور الموحدين والقضاء وسائر أشياخ القبائل ومشايخ القبائل الحفصيه من أجل مبايعته، ثم قام بتعنيفهم بسبب نقضهم للصلح الذي كان بينه وبين السلطان أبى عصيدة،[٥] وتمت له البيعة العامة بعد بيعته في قسنطينه وبجاية[٦].

وهنا نلاحظ دور الوزراء في التلاعب بنظام البيعة، فنجدهم يلجئون إلي

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٧٣٢، الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٨، برنشفيك، المرجع السابق، ج١، ص١٥٧.

(٢) الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٨، المطوي: السلطنة، ص ٣٠٧.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج٦، ج١٢، ص٧٣٢.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٧٣٤، الزركشي: المصدر السابق، ص٥٨، مقلد غنيمي، موسوعة المغرب، ج٥، ص٥٥، برنشفيك، المرجع السابق، ج١، ص ١٥٦.

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٧٣٢، ابن الشماع: المصدر السابق، ص ٨٤، ابن القنفذ: الفارسية، ص١٥٦.

(٦) ابن القنفذ: الصدر السابق، ص١٥٦.

نقض المعاهدة بين سلطان بجاية وسلطان تونس، وذلك لضعف السلطان وصغر سنه، واستغلوا النظام الوراثي للعرش، وكانوا يختارون سلاطين صغر السن ليس علي مستوي المسئولية(١).

وهكذا استطاع السلطان أبو البقاء خالد من توحيد المملكة الحفصيه بعد أن فشل في تحقيقها بالطرق السلمية وتلقب بالناصر لدين الله(٢) وما كاد أبو البقاء خالد أن يوحد السلطة الحفصيه حتى ظهر له منافسون علي العرش الحفصي وذلك بسبب انحرافه وفساد أخلاقه وسلوكه، واخلاده إلي اللذات، والانغماس في الشهوات وقضائه علي الكثير من رجال الدولة وزعماء القبائل(٣) حتى اضطربت أحوال البلاد فكان ذلك موافقا لنزول أبى يحيي زكرياءء بن أحمد اللحياني علي طرابلس عائدا من الحج، فدعي لنفسه، فبويع بعد أن توافدت عليه القبائل العربية من كل جهة منهم زعماء الكعوب من أولاد أبو الليل(٤) فأخذ لنفسه وزراءًا وحجابًا، حيث جعل أبا عبد الله محمد بن محمد المزدوري كبير الوزراء(٥)، وأبو زكرياءء يحيي بن علي حاجبًا، والمدعو محمد وزير الأشغال

(١) ابن الأحمر، روضة النسرين، ص٣، النفحة النسرينية، ص٥٥، السلاوي، الاستقصا، ج٤، ص٣، برنشفيك: المرجع السابق، ج١، ص١٥٧

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٧٣٤، الزركشي: المصدر السابق، ص٦٠، ابن القنفذ: الفارسية، ص١٥٦ -١٥٧، ابن الشماع، المصدر السابق، ص ٨٤، هامش ٥

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ٧٣٦، برنشفيك، المرجع السابق، ج ١، ص ١٥٨، المطوي: السلطنة، ص ٣١٦.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٧٤٠، ابن الشماع، المصدر السابق، ص ٨٥، مقديش، تحفة الأنظار، ج ١، ص٥٦٣.

(٥)ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص ٧٤٠، ابن الشماع، المصدر السابق، ص٨٥.

المالية، ومحمد بن إبراهيم التجاني وزيرا للقلم (كاتب العلامة)[١] وظهر أبو بكر الحفصي أيضا اخو السلطان أبو البقاء خالد في قسنطينه وأعلن نفسه سلطانا للحفصيين وتلقب بالمتوكل علي الله عام ٧١١هـ /١٣١١م، وسعي إلي احتلال بجاية ولكنه فشل في ذلك بسبب شجاعة وولاء ابن خلوف وقوته ومكانته في الدولة[٢].

وهكذا أصبحت الدولة الحفصية منقسمة إلي ثلاثة أجزاء بين ثلاثة من الحفصيين كلهم أخذ لنفسه البيعة وجعل له وزراء وحجابا ورجال دولة، وجميعهما نسب لنفسه الأحقية والشرعية في الاستيلاء علي الحكم[٣] وساند أبو بكر صاحب قسنطينه ابن عمه ابن الليحاني في طرابلس ضد أخيه أبى البقاء خالد في تونس، بسبب تكدر وغضب الناس منه بسبب سوء تصرفاته فأرسل صاحبه يعقوب بن غمر إلي ابن الليحاني للاستيلاء علي تونس ويشد من عزمه ويسانده، وسلمه هديه من السلطان أبى بكر صاحب قسطنطينة[٤] فقام علي الفور بالتحرك بجيش يقوده وزيره الأكبر محمد بن محمد المزدوري ومعه أيضا قبائل أولاد أبى الليل يتحركون إلي تونس[٥] فاعترضهم جيش السلطان أبى البقاء بقيادة مولاه ظافر الذي وقع واعتقلوه وأصبحوا علي مشارف العاصمة

(١)ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص ٧٤٢ – ٧٤٣.

(٢)ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص ٧٣٨.

(٣)ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص، ٧٣٩.

(٤)ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص ٧٤٢، المطوي: السلطنة، ص ٣١٦.

(٥) ابن القنفذ: الفارسية، ص١٥٩، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص ٧٤٢، ابن الشماع، المصدر السابق، ص ٨٥.

تونس في الثامن من جمادي الاخري سنة ٧١١هـ / ١٣١١م وجرت بين الطرفين معارك عديدة، قتل فيها وزراء السلطان أبى البقاء وكبار رجال دولته[١] وعلي الفور دخل الوزير الأكبر أبو عبد الله المزدوري إلي قصر الإمارة وتمكن من اعتقال السلطان أبا البقاء خالد، بعد أن استسلم واشهد علي نفسه بالتنازل عن الحكم وحل البيعة التي عقدت له، ولكن كل ذلك لم يشفع له فقتله الوزير قبل وصول السلطان الجديد ابن اللحياني[٢] الذي كان الوزير الأكبر للسلطان أبى عصيدة سابقا وهنا نللاحظ أن أبا البقاء خالد قد تنازل عن الحكم ولم يبايع أحدا، وكان ذلك يوم الخميس وذلك بعد إن أشار علي قاضيه ابن عبد الرفيع[٣]، فنصحه بخلع نفسه وخلع بيعته من اجل النجاة بنفسه ولكنه لم يبايع أحدًا[٤] وكان يوم الجمعة هو ثاني وصول الوزير الأكبر المزدوري إلي تونس وهنا خطب خطيب الجامع الزلاج بالجبل الشرقي بدون أن يذكر اسم سلطان وبيعته[٥]، هل هو إن اللحياني، أم هو أبو بكر، وهذا يدل علي مدي الفوضى السياسية التي أحلت بالدولة الحفصيه ومدي ضعف السلاطين الحفصيين واستبداد الوزراء لهم.

وفي يوم الأحد الثاني من رجب عام ٧١١هـ / ١٣١١م وصل السلطان

(١) ابن القنفذ: الفارسية، ص١٥٩، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص ٧٤٢.

(٢)ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص ٧٤٢، ابن الشماع، المصدر السابق، ص ٨٥، مقديش: المصدر السابق، ج١، ص٥٦٣، ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص، اللمحة البدرية، ص

(٣) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٦٠، أبو إسحاق، ابن عبد الرفيع

(٤) الزركشي: المصدر السابق، ص٦١

(٥) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٦٠، الزركشي: المصدر السابق، ص ٦١ -٦٢

ابن اللحياني إلي العاصمة تونس، وبويع البيعة العامة بمنزل المحمدية وسلم له الامر بتونس وارسل الحاجب أبا عبدالرحمن بن غمر إلى إلى سلطانه صاحب قسنطينة أبى بكر بعد ان عقد معه هدنه بمقتضاها يكون من حق بجايه للسلطان أبى بكر، وانقسمت الدولة الحفصية إلى قسمين احداهما فى تونس والأخر فى بجاية، وهنا نجد أن البيعة العامة لابد أن يبينها باسم السلطان فى خطبه الجمعة وهذا يدل على فرض السلطان الحفصى وجوده على جميع الاقاليم التابعة لدولته، بالاضافة إلى وضع اسمه على السكه الخاصه بالدولة، وذلك يعنى أنه هو السلطان الشرعى للدولة الحفصية وهنا نلاحظ ما وصلت إليه الدولة من انهيار وتلاعب الوزراء بالبيعه من أجل كسب السلطان والسيطرة عليه، وهرب السلطان ابن اللحيانى ولم يجعل له واليًا للعهد، لأن ابنه كان مسجونًا، فقام وزراؤه وكبار رجال دولته بإطلاق سراحه وبايعوه البيعه الخاصة[١] ثم بويع البيعه العامة عندما دخل إلى تونس، فى منصف شعبان عام ٧١٧هـ/١٣١٧م وأصاب الوزراء الحفصيين[٢] بالضعف مثل سلاطينهم لأن الذى أخذ البيعه العامة للسلطان أبى ضربه هو حمزه بن أبى الليل وكانت هناك بيعه آخرى فى تونس من قبله واثناء خروجه من تونس حيث دخل السلطان أبو بكر المدينة ودعا ابن غمر بن أبى الليل الملألليعة ولكنهم ترددوا فى البيعة بعض الشيء انتظارًالما سوف يسفر عنه وضع أبى

(١) ابن خلدون:العبر، مجـ٦، ج١٢، صـ٧٥٠

(٢) ابن خلدون: العبر، مجـ٦، ج١٢، صـ٧٥١، الزركشى: المصدر السابق، صـ٦٥،المطوى:السلطنه، ص٣٢٨.

ضربه السلطان الآخر[١] وكثرت البيعة وتكررت ثم يهزم السلطان ووزراؤه، ويظهر السلطان المستنصر ويعتلى العرش مره آخرى ويتجدد له البيعه وذلك بسبب اشتداد التنافس والحقد بين الوزراء وبعضهم البعض فكل منها يريد من يساعده سلطانًا لينعم بالسلطة والمال[٢] واشتد التنازع بين سلاطين الدولة الحفصية الثلاث لبنى بكر فى تونس، ومحمد ابن أبى ضربه خرج منها وهزم[٣] وابن اللحيانى والده فى طرابلس[٤] وظل الوزراء يحركون السلاطين كبيادق الشطرنج[٥] وهجر ابن اللحيانى وأخذت البيعه من بعده فى طرايلس لأبى عبدالله بن عمران[٦].

واستمرت البيعة يحاصرها وزراء الدوله الحفصيه من أجل اتمام السيطره على السلطان وظلت البيعة إبان تلك الفتره شديده الاضطراب متداوله لمن يستطيع دخول تونس وطرد الآخر حيث ظهرت الفتن والثورات[٧] ومع ظهور امير جديد تنقسم البيعه بينهما فظهر عند عوده عبدالواحد اللحيانى إلى افريقيه نزوله طرابلس نزل على قبائل دياب بالجنوب التونسى ثم اعلن نفسه سلطانًا حفصيًا وبايعه عبدالملك بن مكى المتولى على قابس ثم بياعه الاعراب

(١) ابن خلدون:العبر، مجـ٦، جـ١٢، صـ٧٥١

(٢) المطوى:السلطنة، صـ٢٣٩،برنشفيك:المرجع السابق، جـ١، ص١٨١.
ابنخلدون:العبر، مجـ٦، جـ١٢، صـ٧٥١ -٧٥٥.

(٣) ابن خلدون:العبر، مجـ٦،جـ١٢،صـ٧٤٨،الزركشى:المصدر السابق، صـ٦٥.

(٤) المطوى:السلطنه، صـ٢٣٧ -٢٣٩.

(٥) لبن خلدون:العبر، مجـ٦، جـ١٢، صـ ٧٥٥.

(٦) Mas latrie, op.cit., ١٦٤

(٧) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص٧٧٦، المطوى: السلطنة، ص ٣٤٢.

من كل ناحيه[١] وقام على الفور مبيعًا عبدالملك بن مكى وزيرًا وحاجبًا له[٢]، ثم ارسل حمزه بن عمر زعيم الكالوب بيعته إلى عبدالواحد بن اللحيانى فقويت شوكته[٣] قام بهاجمه تونس فى شوال عام ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م كان السلطان أبو بكر الحفصى عائدًا من المسيلة، واستطاع حبس عبدالواحد من الدول إلى مقر الحكم الحفصى وبصحبته وزراؤه وقائد جيشه محمد البطرنى[٤] وعندما شعر عبدالواحد بقدوم جيش أبى بكر الحفصى ودخل السلطان أبو بكر الحفصى مدينه تونس فى عيدالفطر ٧٣٢هـ واستقبله السكان بالحفاوة وجددوا له البيعه، وهنا نجد ان هذا السلطان بايعة اهل تونس سبع مرات لأن المدينه والبيعة لم يعرفا طعم الاستقرار[٥].

وبقوة ونفوذ الوزراء تحولت البيعه ووليته العهد من امير حفصى إلى أمير آخر، فنجد انه بعد وفاة السلطان أبى بكر الحفصى استطاع الوزير ابن تافراجين من تحويل البيعه وولايه العهد من السلطان وولى العهد أبو العباس أحمد إلى أبو حفص عمر الذى اعلن نفسه سلطانًا وتلقب باللقب الخليفى ((الناصر لدين الله))[٦] وقام الوزير ابن تافراجين بدعوة شيوخ الموحدين

(١) قابس بحث ضمن دائره المعارف التونسية فى بيت الحكمه، قرطاج تونس، ١٢٩، عدد٤، ص ١٠٦، المطوى السلطنة، ص٣٤٩.

(٢) الزركشى: المصدر السابق، ص ٩٩.

(٣) الزركشى: المصدر السابق، ص ٩٩، ابن الشماع:الادله، ص ٩٠.

(٤) الزركشى: المصدر السابق، ص٦٩، المطوى:السلطنه، ص٣٥٠.

(٥) الزركشى:المصدر السابق، ص ٦٩، ابن الشماع:الادله:ص ٨٩.

(٦) الزركشى:المصدر السابق، ص٨٠، ابن مرزوق:المسند، ص ٣٥٦.

والموالى وطبقات الجند بعد وفاه السلطان أبى زكرياء الحفصى[١] وطلب منهم مبايعة أبى حفص عمر، فرد عليهم القاضى ابن عبدالسلام وقاضى الأنكحه بأنهما شهدوا على اخيه أحمد صاحب قفصه، وطلبوا من الوزير السلطان بإعطائهما شهادتهما بمبايعة اخيه ليقطعوها، فهاج الحضور وماجوا وهم جلوس فى الكبرى.

فأمر الوزير ابن تافراجين الايخرج أحدًا من القبة حتى يبياعوا عمر الحفصى، ولكن رفض القاضيان، فستدعى وجوه وشيوخ الموحدين وبعض كبار البلد بعد أن فرغ من دفن السلطان وبايعوا السلطان عمر الحفصى ودقت الطبول والبوقات والسلام ليعلنوا مبايعه عمرو الحفصى[٢]، فقالوا ماهذا فقيل لقد بايع الناس الأمير عمرو استدعى القاضيين ومن معهما ليشهدا تمام البيعة وانعقادها من الحشود الضخمة فكتبت وثيقة بعقد البيعة للأمير عمر لأختيار العامة والخاصة لولى العهد[٣] وهنا كان للوزير ابن تافراجين دور كبير غير مسبوق لمبايعة عمر الحفصى والبيعة من صاحبها الاصلى أبى العباس أحمد صاحب الحق والسلطان

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص٨٠٧، الزركشى: المصدر السابق، ص٨٠، المطوى: السلطنة، ص ٣٧٢.

(٢) ابن خلدون:العبر، مج٦، ج ١٢، ص ٨٠٨، الزركشى: المصدر السابق، ص٨٠، مقديش:نزهه القطار، ج ١، ص ٥٢٦، المطوى:السطنه، ص ٣٧٢، ابن القنفذ: الفارسيه، ص ١٦٨.

(٣) الزركشى:المصدر السابق، ص ٨٠، ابن خلدون:العبر، مح ٦، ج ١٢، ص ٨٠٨، ابن خلدون:العبر، مج ٥، ص ١٢٥-١٢٦، عاشور شامه:المرجع السابق ص ٩١، المطوى: السلطنة، ص ٣٧٢، الغنيمى: موسوعة المغرب ٣، ج ٥، ص ٢٥٧، عبدالهادى التازى:التاريخ الدبلوماسى، ج ٧، ص ٢٨، برنشفيك:المرجع السابق، ج ١، ص ١٩٦.

على الدولة الحفصية، فأصبحت البيعه والحكم لمن امتلك القوه والسلطان المتمثله فى وزير قوى ذكى، وتحولت البيعه عن طريق مؤامره دبرها الوزير اب تافراجين لقائد سلطانه أبى حفص عمر(١).

ولم تستمر هذه البيعة وقتًا طويلًا حتى خرج الامير أبو العباس أحمد بن أبى بكر على رأس جموعه الضخمه فى غرة شعبان عام ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م والتقى مع جنود أخيه السلطان المؤقت أبى حفص عمر ووزيره فخاف الوزير على نفسه ورجع إلى تونس ناجيًا بنفسه ثم ركب الى المغرب الأقصى، ولما سمع السلطان الحفصى أبو حفص عمر خبرهروب ابن تافرجين اختلت وصاف قواته وتركه جنوده، فهرب هو الآخر وانضمت جنوده إلى الامير أبى العباس فملك تونس يوم السبت التاسع لشهر رمضان ٧٤٧هـ وتلقى البيعه العامة والخاصة، واسترد بيعته وسلطانه على العرش الحفصى(٢) لمساعده وزيره وحاجبه ابن عتو الذى جلس على باب الرياض الدخلانى فى خارج دار السكة يسلم الناس عليه ويهنئونه(٣) ولم تستمر هذه البيعه سوى أسبوعًا واحد حنى عاد السلطان أبو حفص عمر الى العاصمة فجددت له البيعه مرة أخرى(٤)

(١) المطوى:السلطنه، ص ٣٧٢.

(٢) الزركشى:المصدر السابق:ص ٨١، السلاوى:الاستقصا، ج ٣، ص ١٥٤ ١٥٥، القلشندى:صبح الاعشى، ج ٥، ص ١٢٥-١٣٦، ابن مرزوق:المسند، ص ٣٥٦، عاشور بوشامه:المرجع السابق، ص ٩١، ابن القنفذ:الفارسية، ص ١٩٩، ابن أبى الضياف:اتحاف، ص٢٢١.

(٣) ابن الشماع:الادله، ص ٩٣.

(٤) ابن أبى الضياف:اتحاف، ص ٢٢٢، ابن الشماع:المصدر السابق، ص ٩٣، السلاوى:الاستقصا، ج ٣، ص ١٥٥، ابن دينار:المصدر السابق، ص ١٦٧، ابن

وهكذا استمرت الاضطرابات والصراعات واستمرت البيعه بين الشد والجذب بين القوة والضعف بين الكر والفر فى أيام كانت من اصعب اوقات الدوله الحفصية بسبب ضعف السلاطين وقوه الوزراء.

كان هذا التحالف القبائلى بسبب استيلاء أبى الحسن المؤينى على تونس، وأضعف شوكة القبائل واستولى على اقطاعها وسلب منهم كثيرا من امتيازتهم واعتقل شيوخ هذه القبائل عندما دبروا مؤمره ضده فتحركوا لايجاد سلطان حفصى للثوره له ضد الحكم المرينى.

واثناء الاستيلاء المرينى على تلمسان أخذت القبائل شكلًا جديدًا، حيث كانت القبائل هى صاحبه الكلمة وليس الوزراء فأصبحت قبائل سليم من بنى كهب وبنى حكيم مع اولاد مهلهل فى توزر وتعهدوا على الاستماتة، وأهدروا الدماء بينهم، وتبايعوا على الموت[١] وبحثوا عن شخصيه حفصيه يساعدونها فوجدوا أحد أحفاد عبد المؤمن بن على الذي كان يشتغل خياطًا، فذهبوا إليه وبايعوه بالحكم وعاهدوه على الاستماته من أجل الاستيلاء على الحكم[٢] وقاتلوا

خلدون:العبر، مج ٦،ج ١٢، ص ٨٠٩

(١) راجع ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج١٢، ص، السلاوى:الاستقصا، ج٣، ص ١٥٨-١٥٩، ابن دينار:المصدر السابق، ص ١٩٩، الزركشى:المصدر السابق، ص ٨٣، الانصارى:فهرست الرصاع، ص٣ هامش، الكفيف الزرهونى:الحلعيه، ص ١٨-٢٠، مصطفى أبو ضيف:المرجع السابق، ص ١٨٠-١٨١، جوليان:المرجع السابق، ص ١٨٤، محمد الطحار:تاريخ الادب الجزائرى، ص ٨٥.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦،ج١٢، ص٨٤٧، الزركشى: المصدر السابق، ص٨٤، السلاوى: الاستقصا، ج ٣، ص١٦٣.

السلطان ابا الحسن المرينى وجيوشه دفاعًا عن بيعتهم بالقرب من القيروان وحاصروه وهزموا جيوشه[١].

ولكن لم تفلح البيعه بدون انضمام وزيرا له فوجدت نفسها مفروضة على ابن تافراجين الذى وجدها فرصه من أجل تحقيق مطامعه فأتفق مع العرب على الانضمام لمساندة السلطان أحمد بن أبى ديوس مقابل توليه الوزراء[٢] فأرسله السلطان المؤينى للتفاوض مع العرب لرفع الحصار عن القيروان ولكنه فرح وانضم معهم وتحركوا إلى العاصمة مع سلطانهم الجديد وحاصروها[٣] ولكنهم فشلوا فتحرك اليهم السلطان أبو الحسن المرينى، عندما علم الوزير ابن تافراجين هرب وتلك البيعه والسلطان، وركب البحر

(١) يحيى بن خلدون:العبر، مج ١، ص٢٣٥، ابن خلدون:العبر، مج٦، ج ١٢، ص٨١٧، السلاوى:الاستقصا، ج ٣، ص ١٦٣، ابن راضوان:الشهب اللامعه، ص ١٥، مقديشى: نزهه القطار، ج ١، ص٥٧٦.

(٢) ابن خلدون:العبر، مج٦، ج ١٢، ص، يحيى بن خلدون:بقيه الرواد، ج ١، ص ٢٣٥، ابن أبى دينار: المصدر السابق، ص ١٦٩، السلاوى:الاستقصا، ج ٣، ص١٦١؛ ابن راضوان:الشهب اللامعه، ص ١٥؛ مقديش: نزهه الانظار،ج ١، ص ٥٧٧، الغنيمى:موسوعه المغرب، ج٢، ج ٥، ص ٢٥٩-٢٦٠، السيد كمال أبو مصطفى: دراسات مغربيه واندلسيه فى التاريخ والحضارة، مركز الاسكندريه للكتاب، ٢٠٠٧، ص٦٥.

(٣) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٢٠، ابن مرزوق:المسند، ص ٣٦٩ ٣٧٠، الزركشى:المصدر السابق، ص ٨٤، ابن راضوان:الشهب اللامعه، ص ١٥، يحيى بن خلدون، بغثه الرواد، ج ١، ص ٢٣٦، رشاسالم:المرجع السابق، ص ٢٠٢، المطوى:السلطنه، ص ٣٩٨

إلى الاسكندرية[١].

واستمرت البيعة معلقه بعد هروب الوزير ابن تافراجين وانسحاب العرب وسلطانهم وسأت ظروف السلطان أبا الحسن المرينى فانسحب وتمت البيعه للفضل الحفصى عام ٧٥٠هـ/ ١٣٥٠م[٢] وعندما عاد ابن تافراجين اتحدت أهدافه مع مساعى زعماء اولاد الليل، وطلبوا من السلطان أبى الفضل الحفصى إقصاء وزيره وحاجبه ابن عتو وتوليه ابن تافراجين وزيرًا وحاجبًا له، ورفض السلطان أبو الفضل طلبهم، فغدروا به بدلًا من الصلح معه خارج المدينه كما اتفقوا، وسرعان ما اعتقلوا السلطان وحاشيته ودخل ابن تافراجين تونس وبسط سلطانه عليها فى ١١ جمادى الاولى سنه ٧٥١هـ/ يوليو ١٣٥٠م واعلن الوزير الحاجب ابن تافراجين عزل الفضل الحفصى وجاء بأخيه أبى اسحاق إبراهيم الذى لم يتجاوز عمره الثلاثه عشره عامًا[٣] وجاءبه إلى القصر وأجلسه على كرسى الخلافة وبايع له الناس خاصته وعامة وهو لايزال طفلًا صبيًا واصبح فى كفاءة حاجبه ووزيره ابن تافراجين[٤] وهنا نجد شده سيطره

(١) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٢٠، الزركشى:المصدر السابق، ص ٨٤ ٨٥، السلاوى:الاستقصا، ج ٣، ص ٢٦١، السيد كمال أبو مصطفى:دراسات، ص ٦٥، برنشفيك:المرجع السابق، ج ١، ص ٢٠٠، رشا سالم:المرجع السابق، ص ٢٠٢

(٢) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٢٥ ٨٢٦، الزركشى:المصدر السابق، ابن القنفذ:الفارسيه، ص ١٧٣، ابن الشماع:الادله، ص ٩٨ ٩٩، المطوى:السلطنه، ص ٤١١

(٣) GIMENEZ SOLER,LA CORONA DE ARAGON x Granada, Baceioma, ١٩٠٨.p.٢٩٢

(٤) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٢٨، ابن الشماع:الادله، ص ١١١، ابن

الوزراء على مقاليد الحكم وزياده نفوذهم جعل الوزير ابن تافراجين يأخذ البيعه لطفل لم يتجاوز الحلم، واصبح توريث العرش والبيعه لطفل من أجل سيطرة الوزراء على مقاليد الحكم والاستيلاء بجميع امور الدوله ليبعثوا بمبايعتهم وولائهم للسلطان الجديد، فبعثوا بالبيعه ماعدا بنو مكى الذى امتنعوا عن مبايعه طفل مع أولاد مهلهل للقضاء على ذلك الوزير وغلامه ولكنهم لم ينجحوا فى ذلك، وكذلك استمرت البيعه والسلطه الصورية فى يد الغلام والسلطه الفعلية فى يد الوزير(١).

عندما توفى السلطان أبو أسحاق الحفصى فجأة يوم العشرين من رجب ٧٧٠هـ/فبراير ١٣٦٩م(٢) فعمت الدهشه على وزراؤه لمن البيعه ومن الوارئين الذى استولى الحكم الحفصى، واستقروا بالبيعه على ابنه أبى البقاء خالد وهو طفل صغير لايتجاوز عمره أثنتى عشرة سنة(٣) وهو الابن الاكبر من اولاد السلطان أبى اسحاق. فتمت البيعة بتونس فى رجب سنة ٧٧٠هـ صبيحه موت أبيه، فقام الوزير ابن أحمد بن إبراهيم المالقى والعلج منصور وحضر الشيوخ من الموحدين، والفقهاء والكافة وانفض المجلس بعد ان تمت البيعة

القنفذ:الفارسية، ص ١٧٤، ابن الخطيب:اللمحة البدوية، ص ١١٩؛الزركشى:المصدر السابق: ص ٩٠، ابنابى دينار: المصدر السابق، ص ١٤٨، القلقشندى: صبح الاعشى، ج ٥، ص ١٢٧، محمد الهادى العامرى:المرجع السابق، ص ١٠٦ ١٠٧، كمال أبو مصطفى: دراسات، ص ٦٨

(١) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٢٩، المطوى:السلطنة، ص ٤١٦

(٢) ابن خلدون:العبر، مج ٦،ج ١٢، ص ٨٦٤، الزركشى: المصدر السابق، ص١٠٤.

(٣) برنشفيك:المرجع السابق، ج ١، ص ٢١٧، المطوى:السلطنة، ص ٤٧٣.

وقاموا بدفن السلطان[١] وأخذ الوزيران فى السيطرة على السلطان الطفل وأخذا يسيران شئون البلاد حسب هواهما[٢] وهنا نجد ما وصلت إليه البيغه وولايه العهد من هوان بسبب ضعف السلاطين واستبداد الوزراء، لدرجه ان احد العلوج يقوم بأخذ البيعه لأحد سلاطين الدوله الحفصيه، وعندما سيطر الوزيران على السلطان الطفل أبى البقاء خالد وفساد حال البلاد لسيطرة الوزيران على شئون لم يروق ذلك ليحى بن يملول صاحب توذر، والخلف بن الخلف صاحب نفطة، فقاما على الفور بخلع طاعة السلطان الطفل ووزيريه المستبدين واعلنا البيعه لأبى العباس أحمد الحفصى صاحب قسنطينه سلطانًا للدوله الحفصية[٣] وهنا انقسمت البيعه بين تونس وسلطانها الطفل الضعيف، وأمير حفصى بقسنطينه قوى يسعى لإعاده أمجاد أجداده العظماء، فوحد صفوفه ونظمها وانطلق إلى تونس، للاستيلاء عليها وقبل وصوله إلى العاصمه توافدت عليه جميع الوفود من شتى انحاء افريقيه الحفصيه تعلن عن بيعتها له وتقدم له فروض الطاعه والولاء[٤].

ثم تحرك إلى تونس وفرض الحصار عليها حتى تمكن من دخولها وقبض على المعتدين من الوزراء السابقين للسلطان الطفل فى الثامن عشر من ربيع الاول ٧٧٢هـ، ٩ نوفمبر ١٣٧٠م، وأقبل عليه العامة إقبالًا شديدًا يبايعونه

(١) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج١٢، ص ٨٦٤، الزركشى: المصدر السابق، ص ١٠٤، ابن دينار: المصدر السابق، ص ١٧٢.

(٢) الزركشى: المصدر السابق، ص ١٠٤؛المطوى: السلطنه، ص ٤٧٣.

(٣) ابن خلدون:العبر، مج٦، ج١٢، ص ٨٨٦-٨٦٧.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص -٨٦٧.

ويدعون له، ويحتفلون به والبيعة الجديدة الأمانة التى سوف تحفظ لهم حياتهم وتوفر لهم الامن والامان[١]. واستمرت البيعه هذه المرة فتره كبيرة اعادة للأذهان ذكر السلاطين الحفصين العظماء وسار على نهجه أبى فارس عبدالعزيز الذى بايعه العامه والخاصة بعد وفاة والده أبى العباس احمد، وبالرغم من تركه اولاد كثيرين بعضهم كان موجودًا فى حاضرة تونس ومنهم من كان خارج العاصمة فى بعض الولايات فتمت البيعه لابى فارس عبدالعزيز يوم الخميس الرابع من شعبان ٧٩٦هـ/ لرابع من يونيه ١٣٩٤م برضا من الناس خاصتهم وعامتهم[٢].

بعد أن تنحى أخوه أبو بكر ولى العهد عن السلطنه وعجزه عن القيام بأمر الخيفة وذلك لانشغاله باللهو والمجون فرضى بولاية قسنطينة وارتحل عن تونس[١] وظلت البيعه وولاية العهد مستقرة وفى آمان بفضل هذا السلطان العظيم، وتوالت عليه وفود القبائل العربية والبربرية بالبيعه[٣].

واستمر أبو فارس عبدالعزيز وبيعته فى الحكم الحفصى لمده إحدى وأربيعين سنة وأربعة أشهر وسبعة أيام يجاهد فى سبيل الحفاظ على وحده السلطنه الحفصية، ويجعل لدولته حسن السمعه والصيت على شتى النواحى

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٦٨؛ الزركشى: المصدر السابق، ص ١٠٦؛ابن دينار: المصدر السابق، ص ١٧٢؛ ابن القنفذ: الفارسيه، ص ١٧٧؛ ابن الشماع: الأدلة: ص ١٠٨-١٠٩، ابن أبى الضياف، المصدر السابق ص ٢٢٨؛ حسن حسنى عبدالوهاب: خلاصة تاريخ تونس، ص ١٤٢.

(٢) ابن خلدون:العبر، مج ٦،ج١٢، ص٩١٠؛ ابن الشماع:الادله؛ ص١١٣.

(٣) ابن أبى الضياف: المصدر السابق، ص ٢٣٠، المطوى: السلطنة، ص ٥٥٢-٥٥٢.

حتى توفى صباح عيد الاضحى سنة ٨٣٧هـ/ الثامن عشر كم يوليه ١٤٣٤ فى موضع يعرف باسم ولجة السدرة قرب جبل ونشريس من نواحى تلمسان[١] وأبعد إخواته عن الحكم وعين ابنه محمد المنصور وليًا للعهد من بعده لما وجد فيه من خصال حميده وحسن الإدارة والاستعداد لتسيير شئون الدوله وكان لقاؤه بالمنصور دليلًا على منزلته وكفاءته العلميه والحربية[٢] ولكنه توفى فجأة قبل وفاة والده ولم يكن قد تمكن بالحكم بعد، حيث لقى حتفه بوطن طرابلس فى الثانى والعشرين من شهر رجب ٨٣٣هـ/ السادس عشر من أبريل ١٤٣٠م[٣] مما انعكس ذلك على السلطان أبى فارس عبدالعزيز وتأثر بوفاته غايه التأثر، وحول ولايه العهد لحفيده محمد المنتصر بن محمد المنصور، مما أغضب ابنه المعتمد صاحب بجايه الذى تحرك الى الحاضرة تونس طمعًا فى ولايه العهد، وكان يتظاهر بأنه جاء للتعزيه، ولكن الامر قد نفذ وانتهى بجعل محمد المنتصر ابن أخيه المنصور لولاية العهد فعارض ذلك العمل مما جعل والده السلطان أبو فارس عبدالعزيز يعتقله، وعين بدلًا منه قائد وأحد مماليكه القائد أبا نعيم راضوان على بجايه[٤].

---

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦،ج ١٢-ص.

(٢) ابن الشماع:المصدر السابق، ص ١١٧، ابن دينار: المصدر السابق، ص ١٧٦، المطولا: السلطنه، ص٥٩١-٥٩٢، برنشفيك المرجع السابق، ج ١، ص ٦٨، ابن الشماع:الادلى، ص ١١٧-١١٩، ابن دينار: المصدر السابق، ص ١٧٦؛ برنشفيك: المرجع السابق، ج١، ص ٢٦٨-٢٦٩.

(٣) الزركشى: المصدر السابق، ص١٢٨-١٢٩، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٦٩، المطوى: السلطنة، ص٢٩٣.

(٤) الزركشى: المصدر السابق، ص ١٣١؛ ابن أبى دينار، المصدر السابق، ص ١٧٧؛ابن

وعندما علم محمد المنصر بوفاة جدة؛ أمر بكتمان وفاته خوفًا من ان تخرج الأمور من يدية، وخرج ليؤم الناس فى صلاة العيد، ويعلمهم بقرار العوده إلى تونس لأن جده مريض جدًا وانهم سيعودون به محمولًا على محنة، وظل السير والخبر فى الكتمان حنى تسرب رويدًا رويدًا، حتى وصل المعتمد، فدبر حيلة للهرب ولكنه تم القبض عليه واعتقله وكحل عينه بالنار، ثم بايعه الناس سلطانًا حفصيًا.

ثم أمر بتغسيل جده وتكفينه ودفنه[١] ولكن كانت البيعة الأولى له يوم عيد الاضحى بمراج ولجة السدرة ثم جددت فى البيعة حاضرة تونس حيث خرج الناس لمبياعته فى حشود عظيمه يوم عاشوراء سنه ٨٣٨هـ[٢] وجعل محمد أخاه أبا عمرو عثمان وليًا للعهد، وعندما اشتد المرض بأخيه السلطان، اصبح ارتقاؤه للعرش بمثابة وقت، ولم يمض كثيرًا حتى توفى السلطان فى الثانى والعشرين من صفر ٨٣٩/ السادس عشر من سبتمبر ١٤٣٥، بعد ان قضى فى الحكم سنة واحدة وشهرين واثنى عشر يومًا[٣] وبويع أبو عمرو عثمان سلطانًا على الدولة الحفصية صبيحة يوم وفاة أخيه وبويع بتونس على رضى من الخاصة والعامة يوم الجمعة[٤] وصلى بالناس صلاة الجمعة وبقيه اليوم وكان

الشماع: المصدر السابق:ص ١١٩.

(١) ابن الشماع: الأدلة، ص ١٢٠؛ الزركشى: المصدر السابق، ص ١٣٢، المطوى: السلطنة، ص ٦٠٥

(٢) الزركشى: المصدر السابق، ص ١٣٤؛ابن الشماع: المصدر السابق، ص ١٢١؛ابن أبى دينار؛المصدر السابق، ص ١٧٧.

(٣) الزركشى: المصدر السابق، ص ١٣٤؛ ابن الشماع: الادله، ص١٢١؛ ابن أبى الضياف: المصدر السابق، ص ٢٣٥؛المطوى: السلطنة السلطنه، ص ٦١١.

عمره حين البيعة سبعة عشر عامًا وأربعة اشهر وخمسة عشر يومًا[١] ولم يختلف على بيعته أحد بسبب صغر سنه لما كان يتمته به من خصال حربية وشجاعة واخلاصة لشقيقة فى جميع حروبه[٢].

وهنا نجد ان البيعه وولايه العهد ترتبط بقوة السلطان الحفصى فنجد ان جميع وزراء أبى عمرو عثمان لم يختلفوا عليه، ولم يخرج واحد منهم بأمير حفصى آخر من أجل منافسه السلطان أبى عمرو عثمان الذى تلقب بالمتوكل على واحتفظ بجميع وزراء أخيه فى مناصبهم مما سهل استقرار البيعه له واستقرار الامور السياسية وتفرغ للقضاء على الفتن والثورات[٣] وانعكس ذلك على طول فتره حكمه التى استمرت اكثر من نصف قرن اى حوالى ثلاث وخمسين سنة، وبقيت مع البيعه والعرش الحفصى دون منافس حقيقى[٤].

وقام السلطان أبو عمرو عثمان بتعيين ابنه محمد المسعود وليًا للعهد فكان يحبه كثيرًا، ويعلق عليه الآمال الكبيرة لتولى السلطه والحكم الحفصى من بعده

---

(١) ابن الشماع: الادله، ص١٢١.

يذكر برنشفيك ان أبو عمرو عثمان عندما بايعه العامة والخاصة سته عشرة سنة ونصف اى اقل مما ذكره ابن الشماع والاقرب للصواب ابن الشماع لأنه كان معاصر واقرب للاحداث لأن برنشفيك ناقل عنه وعن غيره من المصادر.

راجع:برنشفيك: المرجع السابق، ج١، ص ٢٧٢.

(٢) برنشفيك:المرجع السابق، ج١، ص ٢٦٨.

(٣) الزركشى: المصدر السابق، ص ١٣٤-١٣٥؛ ابن أبى الضياف:المصدر السابق، ص ٢٣٥-٢٣٦

(٤) برنشفيك: المرجع السابق، ج١، ص٢٧٢.

فكان شخصية مرموقة اشتهر بأعمال البر فكان مؤمنًا أمينا[١] ومدحه الشعراء لاسيما ابن الخلوى الشاعر الاندلسى الذى قال فيه القصائد والأزجال والموشحات[٢] ولكن ولايه العهد انتقلت الى أبى زكرياء يحيى بن محمد المسعود الذى كان يشغل إمارة قسنطينة وذلك بسبب وفاة محمد المسعود فى شعبان ٨٩٣هـ /١٤٨٨م، واختاره السلطان عن اقتناع لأنه ابن ولى عهده الأول، ولكن السلطان أبا عمرو عثمان توفى فى الشهر الموالى لوفاة ولى عهده الأول فى آخر رمضان لسنة ٨٩٣هـ، وكانت وفاة ابنائه محمد المسعود وإبراهيم من الأسباب التى عجلت بوفاته على الرغم من ان عمره كان يناهز السبعين[٣].

وبعد وفاة السلطان العظيم أبى عمرو وعثمان دخلت البيعة مرة آخرى حاله الشد والجذب، حيث بويع الأمير بى زكرياء يحيى يوم وفاة جدة وخرج الى المحلة وبايعه العامة والخاصة[٤]، ولكنه استخدم جميع الاساليب للحفاظ على السلطة والبيعة فقتل عمه أبى بكر والى طرابلس صاحب اكبر مؤهلات وامكانيات الحكم وكذلك قتل عبدالملك بن أبا بكر وسجل عينى أخيه الامير الحسن وابن أخيه أبى بكر المنتصر فكان شديد القسوة مع خصومة، ولكنه لم

(١) ابن أبى دينار: المصدر السابق، ص ١٧٩.

(٢) ابن دينار:المصدر السابق، ص ١٧٩ ١٨٠، المطوى: السلطنة، ص ٦٤٠

(٣) ابن أبى الضياف: المصدر، ص ٢٣٩، برنشفيك:المرجع السابق، ج١، ص ٣٠٦، المطوى: السلطنة، ص٦٤١.

(٤) ابن أبى دينار: المصدر السابق، ص ١٨١.
المطوى:السلطنة ص ٦٤٣.

يستمتع بالبيعة والخلافة حتى استولى الشاب أبو يحى زكرياء بن يحى على الحكم وأخذ ثأر أبية فهرب السلطان الى الجبال ولكن الاعراب ساعدته فى العوده الى تونس وجددت له البيعة وجاءته البيعه من جميع البلاد مثل قابس وعنابه وصفاقس ودانت له البلاد حتى توفى فى التاسع من شعبان ٨٩٩هـ / ١٥مايو ١٤٩٤م وهو فى عنفون شبابه[١].

واشتدت الاضطرابات الداخلية طيلة السنوات الست وما أعقبها حتى بويع أبو عبدالله محمد بن الحسن بن محمد المسعود يوم وفاة ابن عمه أبى زكرياء يحيى وجلس بالقبه وبايعه الخاصة والعامة[٢].

واستمرت البيعه تهوى الى النهايه من بعد أبو عمرو عثمان حيث تولى بعده السلاطين الضعاف وازدات البلاد مشادًا واضطربت الاحوال وسيطرت الوزراء على البلاد والسلاطين حتى انتهت الدوله الحفصية على ايدى الاتراك.

وخلاصة القول:

إن نظام الحكم فى الدولة الحفصية كان وراثيا وكان ولى العهد هو السلطان المقبل الذى يتولى امور البلاد وكان السلطان الحفصى هو صاحب الكلمة فى تعيين ولى العهد لمساعده الوزراء هولاء لعبوا دورًا هامًا فى عملية اخذ البيعه لسلاطينهم، وحرص السلاطين على توثيق عهد الولاية لابنائهم، ولعب

(١) برنشفيك:المرجع السابق، ج ١، ص٣٠٧.

(٢) ابن أبى دينار: المصدر السابق، ص ١٧١-١٨٢.

- المطوى: السلطنة، ص ٦٤٧، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٣٠٦-٣٠٧، حسن حسنى: خلاصة تاريخ تونس، ص ١٤٩.

الوزراء دورًا هامًا فى عمليه أخذ البيعة لأى أمير حفصى سوف يكون هو السلطان من أجل كسب النفوذ والسيطره على السلاطين إذا كانوا ضعافًا على العكس من السلاطين الاقوياء الذين كانوا يقومون بعزل وقتل وزراؤهم المفسدين فى حاله ثبات غشهم وعدم الاخلاص لهم، واذا لم يعين السلطان واليًا للعهد كان الوزراء هم اصحاب الكلمة فى تعيين من يساعدهم على كسب النفوذ والسلطان، كما كان للوزراء فى فترات الضعف من تحويل البيعه من سلطان إلى آخر حسب اهوائهم ومن سوف يجعلهم فى المناصب المرموقه.

وتعد هذه الفتره الحرجة من تاريخ الدولة الحفصية، تضارب المصدر فى أقوالها وأخبارها اشد التضارب فى نقل الاحداث ونجد أن معظم المصادر الحفصية المعاصر توقفت عن تدوين تاريخ الدولة الحفصية سوى القليل منها، ولم تذكر أسماء أى وزراء فى أواخر عهد السلاطين الاواخر ولم تتكلم عن نظم البيعة والولاية لعهد بالتفصيل والدقة المطلوبة بانتهاء الفارسيه عند عهد السلطان أبى فارس عبد العزيز وكذلك توقف ابن خلدون.

دور الوزراء الحفصين فى العلاقات الخارجية

دور الوزراء الحفصين في العلاقت الخارجية مع بنى عبد الواد

كان وجود دولة بنى عبدالواد[١] فى المغرب الأوسط بين بنى حفص فى تونس، والدولة المرينة فى المغرب الاقصى، فرض عليها معاناة شديدة من القوى المجاوره من أجل البقاء وتأمين حدودها ثم التوسع على حساب الاخرى[٢] مما جعل بنو زيان يتضامنون مع الدولة الموحدية ضد الحفصين فى بادىء الامر[٣] فترتب على ذلك محاولات الحفصيين فى السيطرة على تلمسان ومهاجمتها[٤].

---

(١) ينتمى بنو عبدالواد الى قبيلة زناتة الأمازيغية وقطنوا ربوع بلاد المغرب، وبطونهم كثيرة، عاشوا حياةالبداوة والترحال عبر المراعى، واستقروا بأحواز تلمسان فى عهد الموحدين، وظلوا في خدمتهم حتى ضعفت الدولةالموحدية واستقل ابن يحى يغمراسن بن زيان بالحكم العبد الوادى وقطعوا دعوة بنى عبدالمؤمن واعلنوا تلمسان عاصمة لهم عند بناء دولة بنى عبد الواد راجع ابن الاحمر: روضه النسرين، المطبعة الملكية – الرباط ١٩٦٢م، ص٨ –١٠، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ت/ هانى سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ج ١، ١٤٢١/٢٠٠١ ص٤، ابن عبدالحكم: فتوح مصر والمغرب – تحقيق، عبدالمنعم عامر مطابع لجنة البيان العربى، القاهرة، ١٩٦١، ص–٢٢٥، يحيى بن خلدون: بغية الرواد – تقديم عبدالحميد حاجيات، المكتبة الوطنية بالجزائر، ١٩٨٠، ص ٨٤ –٨٥ مجهول: افريقية، مخطوط بمعهد المخطوطات، جامعة الدول العربية، رقم ١٤٤ جغرافيا، ورقة ١ أ، أب التنسي (محمد بن عبدالله المتنسى): نظم الدرر والعقيان فى بيان شرف بنى زيان. مخطوط بدار الكتب المصرية، القاهرة ٨٦٦١ح – رقم ميكرو فليم ٤٣٨٣، ورقة١٤ يحيى بو عزيز: تلمسان عاصمة الغرب الاوسط، عاصمة الثقافة، الجزائر ٢٠٠٧ ص ٥٠.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج ٧، ج ١٣، ص ١٨٥ –١٨٦، العروى:المرجع السابق، ص ١٩٨

(٣) يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ج ١، ص ١٩٩، يحيى عبدالحميد حاجيات: أبو حمو موسى حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٤، ص ١٢.

(٤) ابن الشماع:المصدر السابق، ص ٥٩

وزراء أبو زكرياء الحفصى وعلاقتهم مع الدولة الزيانية:

كان يغمراسن[١] أول من استقل بالزيانيين عن الموحدين، وعمل على استقرار دولته وازدهارها[٢].

واستمر فى تحالفه مع الموحدين، مماجعل الحفصيون يشكون فى نواياهم[٣] وعلى الفور طلب أبو زكرياء منه قطع صلته بالموحدين، ولكنه رفض[٤] وكان هذا القرار يعد تحديًا صارخًا للسلطان الحفصى، وعاملًا مؤثرًا فى توتر العلاقة بين الدولتين، فتحرك السلطان أبو زكرياء ووزراؤه بعساكرهم الضخمة وجيوشهم الوفيرة[٥] فى شهر شوال سنة ٦٣٩هـ / ١٢٤١م. صوب تلمسان فكان هو

(١) يغمراسن بن زيان كان ابيض اللون أشقر الشعر دفن بإزاء قبر الشيخ محمد بن أبى بكر بن مرزوق العجيسى، بويع بتلمسان عام ٦٣١ه / ١٢٣٣م، وكان جرأى، شجاع ومتواضع راجع: ابن الأحمر: روضة النسرين، ص ٤٥ -٤٦، يحيى ابن خلدون: بغية الرواد، ج ١، ص ٢٠٤، مقديش:المصدر السابق: ج١، ص٥٣٣، ابن الوردي: تاريخ ابن الوردى، ج ٢، ص ٢٣٠، بينما يصفه ابن الاحمر بالجبن وذلك بسبب عدائه له وهذا لا يتفق مع شخصيتة وقرارته التى اتخذها من اجل التوسع وشجاعته فى مراسلاته من اجل الحفاظ على ملكه راجع ابن الأحمر: روضة النسرين، ص٤٥، تاريخ الدولة الزيانية، ص ٥٩ - ٦٧، عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى، ص ١٣ -١٤، المدنى: كتاب الجزائر، ص٣٠ -٣١، فهمى الجزائرى، المرجع السابق، ص ٣١٤ – ٣١٥.

(٢) يحيى بو عزيز: تلمسان، ص ٥٣.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٦، ص٦٠٧-٦٠٨، يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج ١، ص ٢٠٥.

(٤) ابن خلدون: العبر، ج ٦، ج ١٢، ص ٦٠٧.

(٥) ابن خلدون العبر، ج ٦، ج ١٢، ص ٦٠٨، نلاحظ هنا ان ابن خلدون لم يذكر عدد العساكر فى الجيش الحفصى بينما ذكره ابن الشماع بعدد اربعة وستون الف ص ٥٩، ابن القنفذ:

ووزراؤه وجيشه أمام أسوار المدينة فى نهاية شهر محرم سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م[١] وحاصرها واستولى عليها بعد أن هزم الجيش الزيانى شر هزيمة، بينما هرب يغمراسن بن زيان مع عائلته وكبار رجال دولته الى الجبال المجاورة[٢] وعلى الفور استشار السلطان أبو زكرياء وزراؤه المصاحبين له على من يوليه تلمسان، ويعود هو لتونس لاداره شئون دولته، حتى اتصلت به صوت النساء ام يغمراس من

الفارسية، ص ١٠٩، الزركشى، المصدر السابق، ص ٢٩، ابن عزازى: المصدر السابق، ص ٣٦١ ذكر ابن القنفذ والزركشى بأن تعداد الجيش الحفصى بلغ قومه فى هذه الجملة اربعة وستون الفًا على العكس من ابن عزازى الذى قال ان عدده بلغ عشرة آ لاف وذكره الجيلانى ويحيى بن خلدون والرأى الاخير هو الاقرب للصوب نظرًا لما تتكلفه تلك الحملات من سلاح وفرسان، راجع الجيلانى، تاريخ الجزائر العام، ج ٢، ص ١٣٣ يحيى بن خلدون، بغيه الرواد، ج ١، ص ١١٢ وهما يتفقوا مع ابن الشماع، وحينما صمت ابن خلدون: عن ذكر عدد الجيش الحفصى بسبب هذه التناقضات.

- Jamil Abun Nasr, op.cit., P. ١٢٠.

(١) اختلف المؤرخون حول تاريخ وصول الحملة الى تلمسان حيث يذكر يحيى بن خلدون، وعبدالرحمن بن خلدون، تاريخ الوصول كان نهاية شهر محرم ٦٤٠ه / ١٢٤٢م، بينما ذكر الزركشى وابن القنفذ وابن الشماع ان وصول الحملة كان فى شهر ربيع الاول سنة٦٤٠ه / ١٢٤٢م، ولما رأى الاول هو الصواب لانه يناسب مع مقدار المسافة بين تونس الى تلمسان مع سهول حركة الجيش الحفصى بسبب مساعده القبائل وخضوعهم له. راجع ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٠٩، يحيى بن خلدون المصدر السابق، ص٢٩، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٠٩، ابن الشماع، المصدر السابق، ص ٥٩، الجزائرى، المرجع السابق، ص ٣٢٨، عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ، دار المعرفة الجزائية، ٢٠٠٦، جـ٢، ص٤٠.

(٢) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٠٩، الزركشى، المصدر السابق، ص ٢٩، الجيلاني: المرجع السابق، ج ٢، ص ١٣٣.

أجل التفاوض وطلب الصلح[١].

وتم الاتفاق بين الطرفين على عودة يغمراسن الى تلمسان، ويقيم الدعوة الحفصية، والدعاء للسلطان الحفصى على المنابر، ومساعدتهم لهم ضد الموحدين، وقطع جميع العلاقات معهم[٢] ودفع مائة الف دينار سنويًا للسلطان الحفصى[٣]، ولكن وزراء السلطان الحفصى وهو فى طريق العودة إلى تونس، ابلغوه بأنه لا أمان لهم فى بغمراسن ولاثقة لهم فيه، ونصحوه بأن يقيم منافسين له من زناتة وامراء المغرب الاقصى حتى لايخلو له الجو فى المنطقة، ويزداد نفوذه، فقبل وعجل بذلك[٤]، وهكذا كان لوزراء أبى زكرياء الحفصى

(١) ابن خلدون:العبر، مج٦، ج ١٢، ص ٦٠٩-٦١١، يحي بن خلدون:بغية الرواد، ج ١، ص ٢٠٥، الزركشى: المصدر السابق، ص ٢٩، يؤكد ابن خلدون والزركشى على دور سوط النساء فى الصلح، واكرام السلطان أبى زكريا لها بينما يرفضه يحى ابن خلدون:وللكننا نرى دورها البارز حيث كان لها نظره سياسه ودرايه بالاحداث بالاضافه الى ان يحي بن خلدون كان يعمل لدى بنى عبدالواد /وكانت للمقاومة الزيانية دورًا فى اتمام الصلح واستخدامهم اسلوب الكر والفر فى القتال راجع أبو حمو: واسطه السلوك، ورقة ٢٨١٢٥، ويحى بن خلدون، بغيه الرواد، ج ١، ص ٢٠٦، مقلد غنيمى: الموسوعة، ج ٥، ص ١١٧.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٧، ج ١٣، ص٢٠٦، يحى بن خلدون، بغية الرواد، ج١، ص ٢٠٥، الجيلانى، المرجع السابق، ج ٢، ص ١٣٣.

(٣) الجيلانى: المرجع السابق، ج ٢، ص ١٣٣، الجزايرلى: المرجع السابق، ص٣٢٨ ولكنه لم يذكر مقدار الجزية.

(٤)ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٢٤ وهنا نجد ان السلطان الزيانى تمسك بالبيعه والولاء للحفصين على الرغم من نبذ بنو شير وعده الحفصيين وكذلك اهل سبته وطنجه، وذلك بسبب بعدهم عن السلطة المركزية فى تونس، وتمسك يغمراسن بها بسبب قربة من تونس ووجود امارات بنى توجين مغراوة التابعين للحفصيين بجواره، حيث كان يهدف الى

فى توسيع نفوذ دولته عن طريق غزو تلمسان ومشاركتهم فى حملته ونصحهم له فى عمل ميزان القوى فى المنطقة جتى صارت تلمسان تابعة للدولة الحفصية ولو تابعية شكلية.

وهذه التبعية كانت من نصيب الاقوى، وهذا يظهر جليًا عندما هاجم السعيد الموحدى بنى زيان فقدموا له فروض الولاء والطاعة[١]، ولكنه بعد مقتل الخليفة السعيد فى المعركة يوم ١٠ صفر سنة ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م حيث يعتبر ولاءهم الى الحفصين فكانوا يرسلون ابناءهم وكبار رجال دولتهم الى السلطان الحفصى أبى عبدالله محمد المنتصر بعد ان خلف والده، وذلك لتأكيد ولائهم[٢] يتأهبون فرصه للاتصال والتوسع، ولكن كان لقوة السلطان

الاستقرار وترتيب قواته من اجل الانفصال عن الحفصيين راجع، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٢٤ -٦٢٥.

(١) يحيى بن خلدون، بغيه الرواد، ج ١، ص ٢٠٦، وذلك لانه فشل فى اقتحام حصن تامريزين الذى تحصن فيه يغمراسن وجنوده فقتل السلطان السعيد اثناء الحصار وهزمت جيوشه راجع ابن خلدون: العبر، مج٧، ج ١٣ ص ٢٠٦، يحيى بن خلدون، غية الرواد، ج ١، ص ١١٣،ابن أبى زرع، الذخيره لسنه، ص ٧٢، الوزان وصف افريقيا ص، مجهول، الحلل الموشية، ص ١٦٧، عبدالوهاب بن منصور، قبائل المغرب، ج ١، ص ١١٣، الزركشى، المصدر السابق، ص ٣١.

(٢) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص٦٢٤ وهنا نجد ان السلطان الزيانى تمسك بالبيعه والولاء للحفصين على الرغم من نبذبنوشير وعده الحفصيين وكذلك اهل سبته وطنجه، وذلك بسبب بعدهم عن السلطة المركزية فى تونس، وتمسك يغمراسن بها بسبب قربة من تونس ووجود امارات بنى توحين وفعراره التابعين للحفصيين بجواره، حيث كان يهدف الى الاستقرار وترتيب قواته من اجل الانفصال عن الحفصيين راجع، ابن خلدون: العبر، مج٦، ج١٢، ص٦٢٤-٦٢٥.

المستنصر ووزراؤه دور فى ذلك التأجيل، حيث ارسل حملة على المغرب الاوسط قاصدًا ملیانه بقيادة وزراؤه.

وأخيه من أجل اعادتها للنفوذ الحفصى سنة٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م[١] ثم خرجت مدينه الجزائر عن طاعه الحفصيين سنة ٦٦٤هـ ١٢٦٥م ثم استولى الحفصيون على مدينة ملیانه سنه ١٦٨هـ/١٢٦٩م مستغلين حمله لويس ملك فرنسا وملك صقليه على تونس يوم الخميس ٢٦ ذى القعدة ٦٦٨هـ / ١٧يونيه ١٢٧٠م وعملوا على توسيع نفوذهم بالمغرب الاوسط فى الوقت الذى ارسل فيه المستنصر الى حكام ولايته (بلاده) ليذكرهم ما وصلت اليه حروبه ضد النصارى، وطلب منهم الاتحاد والسلاح والجنود من أجل دحر هذه الحملة الفاشية على بلادهم[٢].

وظلت العلاقات بين الحفصيين وبنى زيان على مايرام فى عهد المستنصر، حيث أرسل القاضى أبو القاسم بن أبى بكر اليمنى بن زيتون[٣] الى يغمراسن بن زيان سلطان تلمسان، حيث شكر يغمراسن مقاومته وحسن سياسته وهمته، واكد يغمراسن ولاءه للسلطان الحفصى المستنصر[٤] ولم يفت(بنس)

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص ٦٦٨-٦٦٩.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج٦، ج ١٢، ص٦٦٩.

(٣) هو الشيخ الفقيه القاضى الامام المجد جمال علماء المغرب صاحب وزراء القلم أبو القاسم بن أبى بكر اليمنى الشهير بابن زيتون من اهل تونس، توفى فى رمضان عام ٦٩١هـ / م وكان صاحب باع طويل فى السياسة الحفصية على عهد المستنصر وجعله سفيرًا له فى بلاد المغرب ولذلك ارسله مرتين فكانت دائما سفارته سفاره تقارب بين بلاد المغرب راجع الفيراني، عنوان الدراية، ص ١١٤- ١١٥.

(٤) ابن القنفذ، الفارسية، ص ١٣٢، الفريني: المصدر السابق، ص ١١٥.

Jamil Abun Nasr, op.cit., P. ١٢١.

يغمراسن ان يرسم لخلفائه سياستهم اتجاه الحفصيين حتى يستطيعوا العيش فى سلام وتثبيت اركان دولتهم، وقدم لهم دستورًا يسيرون عليه فيقول ((يابنى ان بنى مرين بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على حضرة الاعمال الغربية وعلى حضرة الخلافة بمراكش لاطاقة لنا بلقائهم اذا جمعوا الوفود قددهم، ولايمكننى انا القعود عن عندلقائهم..... وعليك باللياذ بالجدران متى دلفوا اليك، وحاول ما استطعت فى الاستيلاء على ماجاورك من عمالات الموحدين(*) ومالكهم يستفحل به ملكك، وتكافىء حشد العدو بحشدك، ولعلك نصير لبعض الثغور الشرقية(*) مقلًا لذخيرتك[1] وظلت هذه هى السياسة الزيانية اتجاه الحفصيين والمرينيين فتره طويله من الحكم الحفصى الزيانى والعلاقة بينهما[2].

وبالفعل عمل الزيانيون على مهاجمو أملاك الدولة الحفصية، حيث شنوا هجومًا على بجاية بقيادة السلطان أبى سعيد عثمان الاول عام ٦٨٦هـ

(*) يقصد هنا عمالات الموحدين هى الاراضى التابعة للدولة الحفصية.

(*) الثغور الشرقية لدولة بنى عبدالواد هى الولايات التابعة للدولة الحفصية.

(١) ابن خلدون:العبر، مج٧،ج ١٣، ص ١٨٩-١٨٠، يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج ١، ص ١٠٥ ٢٠٥، عبدالوهاب بن منصور، المرجع السابق، ج١، ص١٤٨، المليلى، تاريخ الجزائر، ص ٨١٣.

(٢) ابن أبى زرع، الذخيرة السنية، ص٦١، ١٢١، ابن خلدون: العبر، مج ٧، ج ١٣،ص ١٨٩-١٩٠، أحمد عبدالله، يوميات وتراجم مغربيه، نصوص مختاره من كتاب وجيز الكلام، اشغال المؤتمر الاول كتاب المغرب العربى وحضاره ج١، ص ٧٢، السلاوى، الاستقصا، ج٣، ص ٦٨-٦٩.

/١٢٨٧م فى غياب حاكمها أبى زكرياء ووزراؤه[١] الذين كانوا فى محاولة منهم لضم تونس العاصمة الى ممتلكاتهم، وتوحيد البلاد تحت حكم السلطان الحفصى أبى زكرياء محمد إبراهيم ولكن كان للوزير الفازازى الذى استطاع صد الهجوم ومنعه من الاستيلاء على أملاك السلطان[٢]، فاستطاع صد هذا الهجوم إلى ناحية الجنوب ولكنه عاد الى بجاية مرة اخرى بعد فشل الزيانيين فى الاستيلاء عليها[٣] وكانت الحملة الزيانية خير دليل على مدى ضعف السلطة الحفصية المنقسمة على نفسها فى تونس وبجاية وسيطرةالوزراء على امور الحكم، والتنافس فيما بينهما من اجل ان يكسب كل سلطان الحكم، ويستأثر هو به ويسيطر على الدولة.

وسأت العلاقات بين الحفصيين والزيانين اكثر عندما تحرك بنو زيان من أجل السيطرة على الثغور الشرقية لهم وهى من املاك الحفصيين، التى سعى السلطان أبو عصيدة لإرجاعها واستردادها وتوحيد الحكم الحفصى، ولكن كان للمرينيين رأيًا آخرًا حيث داهموا تلمسان وفرضوا عليها حصارًا سنة ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م[٤] بقيادة أبو يعقوب(*) فاجأ الزيانيون الى الاستنجاد

(١) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج١٢، ص ٧٠١، يحى بن خلدون، بغية الرواد، ج١، ص ٢٠٨.

(٢) برنشفيك:المرجع السابق، ج١، ص١٣٤.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج٦، ج ١٢، ص ٧٠١-٧٠٢، الفارسية، ص١٤٩، عبدالحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزيانى، ص ١٤، المطوى، السلطنة، ص ٢٧٠.

(٤) هذه هى أول غزوات المرنيين على بنى زيان الذين تحصنوا داخلها، فقام السلطان المرينى أبو يعقوب يخرب نواحيها ويحطم الزروع ويخرب العمران عن طريق المنجنيق واستمر الحصار اربعين يومًا ثم رجع السلطان أبو يعقوب للمغرب الاقصى واستمرت الحرب بين الدولتين والسبب فى ذلك احساس وشعور الدولة المرينية بضعف الزيانيين وعاود أبو يعقوب الحصار

بصهرهم الحفصى أبو زكرياء حاكم بجاية الذى وافق وساندهم ضد المرينين، بينما قام السلطان أبو عصيده بمساندة المرينيين، وذلك بسبب موقفه من السلطان أبى زكرياء حاكم بجاية المنشق عن الدولة ومؤيدوه من بنى زيان.

obeikandl.com

لمده ثمان سنوات حتى مات هناك راجع ابن خلدون: العبر، مج ١٧، ج ١٣، ص، ابن أبى زرع، الانيس المطرب، ص ٣٧٩، السلاوى:الاستقصاء، ج ٣٦، ص ٦٩، يحى بن خلدون، بغية الرواد، ج ١، ص ٢٠٩، الحسن الوزان، وصف افريقيا، ص ٤٦، احسان خضر: المغرب العربى، ص ٩١، المتروك غنيه، المرجع السابق، ص ١٦٩.

(*) أبو يعقوب بن عبدالحق:

Nevill Barbor: Morocco With alillutra tionsond ٥maps thamsand Hudson London ١٩٦٥ p.

فما كان من السلطان الزيانى عثمان بن يغمراسن(*) ٦٨١هـ / ١٢٨٣ - ١٣٠٢م(*) إلا أن أعلن ولائه للحفصيين، ولكن ليس لسلطان بجاية بل للسلطان أبى عصيده ووزراؤه المؤيدين للحفصيين(١) وذلك من أجل انهاك قوى بنى زيان النشطة الطامحة فى الاستيلاء على الاملاك الحفصية الشرقية لهم، واضعاف منافسهم أبى زكرياء الحفصى حاكم بجاية.

وكان للانقسامات داخل الدولة الحفصية والنزاع على الحكم بسبب سيطره الوزراء على السلاطين الضعفاء والتنافس بينهم دورًا هامًا فى بدايه مرحله جديده بين الحفصيين وبنى زيان(٢) مما جعل الفرصه سانحه للزيانين من الهجوم على املاك الحفصيين بقياده سلطانهم أبى حمو موسى الزيانى ٧٠٧هـ / ٧١٨ه /١٣٠٧-١٣١٨م(٣) حيث استولى على الجزائر(١) وتونس(٢) عام

(*) هو عثمان بن يغمراسن تولى الحكم بعد وفاة أبيه يغمراسن فى اوائل شهر ذى الحجة ٦٨١ه مارس ١٢٨٣م وعمل بنصيحه والده فى مسالمة بنى مرين فى بدايه حكمه ولكنة آوى الخارجين على الدولة المرينة فكان ذلك سببًا للغزو، وتوفى يوم السبت غرة ذى القعدة سنة ٧٠٣ه / ١٣٠٤م. راجع يحى بن خلدون، بغية الرواد، ج ١، ص ٢٠٨، ابن خلدون: العبر، مج ٧، ج ١٣، ص ، لبن الاحمر: روضة النسرين ص ٤٩ ٥٠، تاريخ الدولة الزيانيه، ص ٦٨ ٦٩، المدنى، المرجع السابق، ص ٣١-٣٢، الجيلانى، المرجع السابق، ص ١٥٢، عبدالحميد حاجيات، المرجع السابق، ص١٤.

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٧، ج١٣، ص ١٨٨.

(٢) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٥٦.

(٣) أبو حمو موسى الزيانى: هو السلطان أبو حمو بن السلطان أبى سعيد عثمان بن السلطان يغمراسن بن زيان ولد ٦٦٥/ ١٢٩٦ وبويع بتلمسان يوم وفاه اخيه السلطان أبى زيان الاول الاحد ٢١ شوال ٧٠٧هـ /٢٦ ابريل ١٣٠٧م وكان شجاعا شديدًا فى غير قساوه ليست فى غير ضعف راجع عبدالقادر بوطبل: تاريخ مدينة حمو موسى فى الماضى والحاضر

٧١٢هـ / ١٣١٢م وذلك بعد ان أنهى آثار الغزو المرينى عن تلمسان وتفرغ لاثبات وجود دولته على الساحة المغربية العربية[٣] فى وسط قوتين كلاهما تسعى للسيطره عليهم[٤] وفشل ابن اللحيانى كبير وزراء سلطان تونس أبى عصيده من اعاده بجاية الى حظيره الدولة الحفصية، وتوحيد الصفوف من جديد داخل البيت الحفصى.

عندما علم بما آلت إليه بجايه من وهن وضعف واضطرابات تحت قياده سلطانها الحفصى أبى زكرياء بن إبراهيم بعد ثورة أهل الجزائر ضده، واستيلاء

المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ١٩٨٦، ص ٢٥٢٦.

(١) الجزائر: مدينة جليله قديمة البناء وبينها وبين مدينة شرشال سبعون ميلًا، وبها آثار رائعه واسواق ومسجد جامع راجع الحميرى: المصدر السابق، ص ١٦٣، البكرى:المغرب، ص ٦٦، ابن حوقل: صوره الارض، ص٧٧-٧٨، العبدرى:الرحلة، ص ٢٦، الزهرى: كتاب الجغرافية، ص،،، ١٠٧، الحموى معجم البلدان، ج ٢، ص١٣٢، الوزان، وصف افريقيا، ص، مجهول الاستنصار، ص ١٣٢، مامول، افريقيا، ج ١، ص١٠٩، عبدالقادر بوطبل: تاريخ مدينه حمو تونس، ص ٢٤.

(٢) تونس: مدينة بأفريقيا محدثة إسلامية، سمعت من يحدث أنها أحدثت عام ثمانين، ثم اجتمعوا الناس إليها وبنوا وسكنوا حتى صارت وعمرت، وهم عامة الدولة الحفصية ومهاجر أهل الأقطار من الأندلس والمغرب، راجع: الحميري: الروض المعطار، ص١٤٣-١٤٤.

(٣) الزركشى: المصدر السابق، ص٦١ -٦٢.

(٤) أبو حمو: واسطة السلوك، ورقة ٢٤-٢٥، ابن أبى زرع، الذخيره، ص ٩٦، ابن الخطيب: ريحانه الكتاب، ج ٢ص ٩١، شوقى عطاالله، المغرب العربى، ص ٣٣، القبلى مراجعات حول المجتمع، ص.٨٧

الزيانيين على بعض الجهات من نواحى بجايه[١] بعد ان وزراء السلطان أبى عصيده بقياده ابن اللحيانى (وزير العسكر) بارتكاب ابشع الجرائم وبث الرعب والفزع بين القبائل بعد اعمال التنكيل بمن يعارضهم حتى وصلوا مدينة ميلة[٢] فقرروا العوده الى تونس مرة آخرى[٣] وعلى العكس من موقف سلطان تونس، قام سلطان بجايه أبو يحيى أبو بكر الحفصى بأرسال وفودًا يقودها وزيره السعيد بن يخلف الى أبى حمو الزيانى سلطان تلمسان من أجل كسب ودهم وولائهم وتوطيد العلاقات بين الدولتين[٤] وهنا نجد وزراء تونس يسعون الى تدمير الدولة الزيانية والجهة الاخرى من السلطة الحفصية فى بجاية، وهنا يعمل الوزراء على اتساع هوه الخلاف بين الدولتين الحفصية والعبدوادية، وذلك عن طريق الحرب والاستيلاء على بلادهم وهذا الجانب كان ممثلًا فى السلطان أبى عصيده ووزراؤه ابن اللحيانى وغيره، على العكس من السلطان الحفصى الآخر فى بجايه الذى عمل وزراؤه على كسب ولاء وتحالف بنى زيان من اجل الاستيلاء على القسم الشرقى من الدولة الحفصية وتحقق ذلك فى عهد السلطان أبى البقاء خالد الحفصى عندما قام بتوحيد

(١) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٣، المطوى، السلطنة، ص ٢٨٩

(٢) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٣، الزركشى:المصدر السابق، ص ٤، برنشفيك، المرجع السابق، ص ١٤٣ ميلة: مدينة أزليه بها آثار للأول تدل على انها كانت كبيره وهى عامره آهله كثيرة الخصب ورخيصة السعر، وهى كثيره الاسواق والمتاجر مياها عذبه وبينها وبين قسنطينة ثمانية عشر ميلا راجع الحميرى، الروض المعطار، ص٥٦٨-٥٦٩.

(٣) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٣-٧١٤، الزركشى:المصدر السابق، ص٥٤.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج٦، ج١٢، ص٧١٤، ٧٤٤، ٧٤٥.

الدولة الحفصية المنقسمة فى تونس وبجاية[١] على العكس من وزراؤه الذين سعوا دائما من اجل ان تبقى الدولة الحفصية منقسمة، وذلك من اجل اغراضهم الشخصية ومطامعهم الخاصة[٢] ومنهم الوزير يحى بن أبى علام وابو القاسم ابن أبى جُبى[٣] ولكن كان السلطان أبا البقاء خالد له راى آخر فارسل سفارته الى تونس من أجل الصلح[٤] وبسبب الصراع بين سلطان تونس ابن اللحيانى وسلطان أبى بكر وبجايه دور وزراؤهم فى استمرار العداء والفرقة بين الدولتين.

بعد فترة من الهدنة والوفاق[٥] بينما ظل الزيانيون فى شن الهجمات على املاك الحفصين، مستغلين هذا الصراع والفتن الداخلية فقام أبو حمو موسى بعد رفع المرنيين الحصار عن مدينته[٦] بضم الجزائر وتونس، فاسرع أبو بكر

(١) ابن خلدون:العبر، مج٦،ج ١٢، ص ٧٣٣ -٧٣٤، الزركشى:المصدر السابق، ص ٥٨، ابن الشماع، المصدر السابق، ص٨٢-٨٣.

(٢) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص٧١٨، المطوى: السلطنة، ص ٢٩٣

(٣) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٨.

(٤) ابن خلدون: العبر، ج ١٢، ص ٧١٩، المطوى، السلطنة، ص ٢٩٣

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص٧٤٣، الزركشى، المصدر السابق، ص ٦٣، المطوى، السلطنة، ص ٣١٩.

(٦) عندما قتل السلطان المرينى يوسف بن يعقوب ٧٠٦هـ /١٣٠٦م بالمنصورة قرر ولى العهد أبى ثابت رفع الحصار عن تلمسان من اجل ان يتفرغ للاستيلاء على العرش المرينى والخلاف مع أبى سالم بشرط أن يقبل سلطان بنى عبدالواد بالسلام وإذا فشل فعليهم قبوله لاجئًا. راجع ابن أبى زرع الأنيس المطرب، ص ٣٩٠، ابن خلدون:العبر، مج ٧ ج ١٣، ص، السلاوى، الاستقصا، ج٣، ص ٩٢، العينى: عقد الجماعات، ج ٤، ص ٤٣٣، الحريرى: تاريخ المغرب الاسلامى والاندلسى، ص ٩٣، مجلة الوثائق: مجموعة وثائقية دورية الوثيقة

حاكم بجايه إليه للتفاوض معه وكذلك ارسل السلطان ابن اللحيانى سفارته اليه من اجل التفاوض معه[١] وبعد ان شعر اهل بجايه وقسنطينه بالقلقل والخوف على مستقبلهم فى ظل سيطره الوزراء على سلطانهم أبى يحى أبى بكر الحفصى فى بجايه والسلطان ابن اللحيانى فى تونس فقام وفد من شيوخ قبائلهم بالاستنجاد بالسلطان أبى حمو الزيانى(*) ضد سلطان بجايه وقسنطينة وعلى الفور بدأت الضربات والتحرشات الزيانية بأملاك الدولة الحفصية[٢] حيث استطاع السلطان أبو حمو موسى الزيانى من محاصرة بجاية وتهديدها بالاحتلال وضمها للاملاك الزيانية[٣] ولكن مع فشل الحصار الاانهم استطاعوا الاستيلاء على جبل ثابت عام ٧١٣هـ / ١٣١٣م وبنوا هناك مدينة وحصنا منيعا يسمى تامز يذدكت بالقرب من بجاية[٤] من اجل ان تكون

٩٩، ص ٣٠١، المبروك غنيه، المرجع السابق، ص١٨٢-١٨٣.

(١) ابن خلدون:العبر، مج٦، ج١٢، ص٧٤٥، المطوى: السلطنة، ص٣٢٣، برنشفيك، افريقيه، ج١، ص١٦٢.

(*) موسى بن عثمان بن زيان: هو أبو حمو بويع بتلمسان بعد أخيه محمد فى يوم الاحد ٢١ شوال عام ٧٠٧ه / ١٣٠٧ بعد رفع الحصار عن تلمسان، وكان مشهورًا بالحزم والشجاعة والاقدام وكانت دولته عشر سنوات راجع ابن الاحمر: روضة النسرين، صـ٥٢، يحى بن خلدون:بغية الرواد، جـ١، ٢١٢. عبدالقادر بوطبل، تاريخ مدينة حمو موسى، ص ٢٨، عبدالحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزيانى حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ١٩٧٤، ص ١٦ -١٧

(٢) ابن خلدون:العبر، مج٦، ج١٢، ص ٧٤٥، برنشفيك:المرجع السابق، ج ١، ص ١٦٢، المطوى، السلطنة، ص ٣٢٣

(٣) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٤٥-٧٤٦

(٤) ابن خلدون:العبر، مج٦، ج١٢، ص ٧٤٥ -٧٤٦.

بمثابة القاعدة العسكرية تنطلق منها للهجوم على الاملاك الحفصية من الناحية الشرقية[١] ودخلت العلاقات الحفصية الزيانية مرحلة جديده فى عهد السلطان أبى العباس الحفصى، فكان انتصار أبى العباس الحفصى على ابن عمه أبى عبدالله محمد، مما جعل السلطان أبو حمو اليانى بتدخل فى شئون الدولة الحفصية لوجود مصاهرة بينه وبين أبى عبدالله صاحب بجاية والد زوجته، ولكن السلطان الزيانى كان هدفه توسيع مملكته وتحقيق مكاسب ونفوذ سياسى له.

فأعد جيوشه وتحرك الى بجايه للاستيلاء عليها[٢] وشدد الحصار على المدينة[٣] وهنا كان السلطان أبو العباس ووزراؤه داخل المدينة، فأشاروا عليه بتعين أحد أقارب أبى حمو الزيانى سلطانًا لبنى عبدالواد حيث كان الأمير معتقلا عنده فى قسنطينة وهو أبو زيان بن عثمان بن عبدالرحمن[٤] ويرجع

(١)عبدالمرضى محمد عطوه زايد: دولة بنى زيان، ص ١٠٧

(٢) ابن خلدون:العبر، مج٦، ج ١٢، ص ٨٦٠؛يحى بن خلدون:بغية الرواد، ج ٢، ص ١٥١؛المطوى:السلطنة، ص ٤٥٥؛برنشفيك:المرجع السابق، ج ١، ص ٢١٤

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٨٦٠؛ يحى بن خلدون: بغية الرواد، ج ٢، ص ١٥١؛ عبدالعزيز الفيلالى: المرجع السابق، ج١، ص٥٨.

(٤) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ٨٦؛ المطوى:السلطنة، ص ٤٥٥؛عبدالعزيز فيلالى: تلمسان فى العهد الزيانى (دراسه سياسيه، عمرانيه، اجتماعيه، ثقافية)موقم للنشر، الجزائر (د.ت) ٢ج ١، ص ٥٣ كان أبو زيان بن عثمان قد هرب من تلمسان نتيجة لبعض اضطرابات فى الدولة الحفصية ولجأ الى الوزير الحفصى ابن تافراجين والسلطان أبى اسحاق إبراهيم وفى عهد السلطان أبى العباس تم وضعه فى تونس ليكون موجودًا عند الحاجه اليه وبقى عنده حتى جاءت فرصة هجوم أبو حمو الزيانى على بجاية فأخرجه السلطان أبو العباس

الفضل لهذه الخطة اساسًا إلى الوزير ابن تافراجين الذى فكر فى احتجاز الامير الزيانى لديه فى قابس عندما كان مسيطرًا على أمور السلطة الحفصية من أجل المساومة مع بنى زيان عند محاولة الاقتراب من الاراضى الحفصية.

ونجحت خطة الوزير ابن تافراجين عندما طبقها السلطان أبو العباس أحمد عندما أمر بإطلاق سراح أبى زيان بن عثمان وأمر مولاه وقائد جيوشه بشيرًا بأن يخرج معه[١] لمواجهه سلطان بنى عبدالواد الذى تخلى عنه مساندیه من القبائل مثل قبائل زغبة التى أنضمت الى السلطان أبى العباس أحمد ووزائه وصنيعته أبى زيان بن عثمان الذى انهزم شر هزيمة وهرب الى تلمسان يجر اذيال الهزيمة بعد ان قتل الكثير من جنوده فى هذه الحرب، واستولى الجيش الحفصى على امواله وسلاحه جميع مؤنه[٢].

وبذلك قضى السلطان أبو العباس أحمد على على خصمه من بنى عبدالواد بمساعده وزراؤه المخلصين بالإضافة الى حركة الوزير ابن تافراجين المستبد بأمور الدولة فى الفترة التى سبقت السلطان أبا العباس احمد.

ودخلت العلاقات الحفصية الزيانية فى صدام اشد وأعنف فى عهد

ونادى به سلطانًا على تلمسان راجع ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص٨٦٠؛ يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ج١، ص١٣.

(١) ابن خلدون: التعريف بابن خلدون: ص١٠٠؛ يحى بن خلدون:بغيه الرواد، ج ٢، ص ١٨٢.

(٢) ابن خلدون:العبر، مج٦، ج ١٢، ص ٨٨٦؛ برنشفيك:المرجع السابق، ج ١، ص ٢٢٥ هامش، الفيلالي: المرجع السابق، ج١، ص؛ عبدالمرضى محمد عطوه زيدان:دولة بنى زيان رسالة غير منشوره آداب القاهرة، ص ٤٨.

السلطان أبى عمرو عثمان ووزراؤه المتقدمين لسياسته والمشجعين له على توحيد بلاد المغرب تحت حكمه بسبب اضطراب الاوضاع فى بلاد المغرب وخاصة الدولة الزيانية التى تميزت بكثرة الاضطرابات والانقسمات[١] وكان للاستقرار الذى وفره الوزراء للسلطان أبى فارس عبدالعزيز دوره فى التدخل فى شئون بنى زيان وتوسيع نفوذه على بلادهم، فتحرك بجيوشه بصحبة وزراؤه عام ٨٢٧هـ / ١٤٢٤م نحو تلمسان للاستيلاء عليها[٢] بحجة سوء اخلاق سلطانها وعدوانيته وشدد عليها الحصار وبرز دور وزراؤه فى هذه الحملة.

من الشجاعة والثبات وحسن الطاعة وعلى الفور هرب السلطان الزيانى تاركًا المدينة تحت سيطرة السلطان الحفصى ووزراؤه[٣] الذين مكثوا فى تلمسان مدة قصيرة ينظم احوالها ويجمع جبايتها بواسطه وزير الجبايه ثم عين عليها محمد بن تاشفين الثانى العروف بابن الحمراء[٤] وذلك فى منتصف جمادى الثانية / منصف مايو ١٤٢٤، واشار على وزراؤه بشأن الغاء دوله بن

(١) المطوى:السلطنة، ص ٥٧٠.

(٢) التنسي: الدرر والعقبان فى شرف بن زيان، مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٨٦٦١ج، ورقة ٦٥، تاريخ الجيلانى الجزائر العام، ج ٢، ص ١٨٩ ؛المهدى بن شهرة:تاريخ وبرهان لمن حلى بمدينة وهران، دار الريحانه للكتاب، الجزائر، ج ١، ٢٠٠٧، ص ٩٥٩.

(٣) التنسي: نظم الدر، ص٢٣٦؛ الزركشى: المصدر السابق، ص ١٠٩-١١٠؛برنشفيك: المرجع السابق، ص٢٥٧.

(٤) الزركشى:المصدر السابق، ص ١٠٩، ١١٠؛ برنشفيك:المرجع السابق، ج ١، ص ٢٥٧؛ يحى بو عزيز: الموجز فى تاريخ الجزائر، الجزائر القديمة والوسيطة ديوان المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٧، ج ١، ص ٢٣١.

زيان ولكنهم فضلوا ان تكون دولة تابعة له خاضعة للسلطان الحفصى وأشاروا عليه وزراؤه بضروره السيطرة على سلاطين بنى عبدالواد لانهم يتميزون بكثرة الثورات ضد الدولة الحفصية، مما يرفع منزلته ويحقق هيمنته على ميراث الموحدين[١] وعندما سيطر محمد بن أبى تاشفين بن الحمراء على مقاليد البلاد الزيانية وخضعت له جميع البلاد بدأ يتطلع الى الانفصال والانقضاض عن السلطان الحفصى ووزراؤه وقطع الخطبة باسم السلطان الحفصى واستعد لمحاربتة وجمع حوله القبائل العربية والزيانية وحصن عاصمتة، وعلى الفور أمر السلطان أبو فارس عبدالعزيز ووزراؤه وقائد قسطنطينة وجيوشه بالتحرك فى حدود سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٩م الى تلمسان[٢] ومعهم محمد عبدالواد الزيانى السلطان السابق ولكن هزم جيش السلطان الحفصى ولكن تمكن عبدالواحد من دخول العاصمة بعد ذلك بقليل.

من دخل العاصمة الزيانية وأعلن تبعيته للسلطان الحفصي[٣] ثم خرج هذا الامير على السلطان مما جعل السلطان يخرج بصحبه وزراؤه وجيوشه فى عام ٨٣٤هـ / ١٤٣٢م ودخل تلمسان بعد ان شدد عليها الحصار وقام اهل البلد بفتح الابواب له وطلبوا الامان مخفيًا عنهم وقبض على الامير محمد وعاد السلطان ووزراؤه الى الحضرة ٨٣٥هـ / ١٤٣٢م ومعه الامير محمد فاعتقله

(١) برنشفيك: المرجع السابق، ج١، ص٢٥٧.

(٢) المطوى: السلطنة، ص ٥٨٦؛ برنشفيك:المرجع السابق، ج١،ص ٢٥٧؛ الفيلالى: المرجع السابق، ص ٧٠

(٣) الزركشى: المصدر السابق، ص ١٢٨؛ المطوى:السلطنة، ص ٥٨٦٥٨٧؛ برنشفيك:المرجع السابق، ج١، ص ٢٥٧.

بقصبة وبقى بها الى ان توفى سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٧م[١].

وفى عهد السلطان أبى عمرو عثمان ظلت العلاقة مع تلمسان كما كانت فى عهد السلطان أبى فارس عبدالعزيز، ولكن حدث[٢] ما جعل السلطان أبو عمرو عثمان يأمر كبير وزراؤه محمد بن أبى هلال بإعداد وتجهيز الجيوش، وكان هذا الجيش عظيم المدد غير معروف العدد[٣] واثناء سير الجيوش الحفصية فى شوال ٨٦٦هـ / ١٤٦٢م توفى كبير الوزراء محمد بن أبى هلال فى قسنطينة، وفقد واحدًا من اعظم وزراؤه المخلصين له، صاحب الايدى البيضاء فى جميع انجازات هذا السلطان العظيم وحضر السلطان دفنه، ثم واصل مسيرته نحو الغرب حتى وصل قبائل بنى راشد على مسافة يومين من تلمسان وانضمت اليه عرب سويد وبنو يعقوب والذواودة واعلنوا طاعتهم وفروض الولاء واستمر السلطان فى زحفه مع وزراؤه وجيوشه نحو تلمسان وهدد اهلها وصاحبها بالحصار فأدرك المتوكل بالله بن السلطان أبى عمرو

(١) الزركشى: المصدر السابق، ص ١٢٩؛ ابن أبى دينار: المصدر السابق، ص ١٧٦ قايد مولود: البريز عبر التاريخ من الكاهنة حتى العهد التركى: ترجمة إبراهيم سعدى، دار النشر ميمونى تونس٢٠٠٧ ص٢٣٤.

(٢)حيث خرج على الامير أحمد العاقل الذى وله السلطان أبو فارس عبدالعزيز على تلمسان، احد احفاد اخيه يسمى محمد بن أبى ثابت الزيانى فتغلب عليه واخرجه من البلاد واستولى على تلمسان وتلقب بلقب ((المتوكل على الله)) واعلن انفصاله عن الدولة الحفصية بينما هرب أحمد العاقل الى الاندلس راجع المطوى:السلطنة، ص٦٢٩.

(٣)الزركشى:المصدر السابق، ص١٥٣؛ المطوى:السلطنة، ص٦٢٩؛برنشفيك:المرجع السابق، جـ١، ص٢٥٧؛ المهدى بن شهرة: تاريخ وبرهان عن حل بمدينة وهران، دار الريحانيه للكتاب:الجزائر، جـ١، ٢٠٠٧، ص٩٤٣، ٩٦٠-٩٦١.

عثمان، وبادر بأرسال وفد على رأسه أحمد بن الحسن الصوفى والفقيه محمد بن أبى أحمد العقبانى وعلى بن حمو بن أبى تاشفين خال المتوكل[١] من أجل التفاوض معه وتقديم فروض الولاء والطاعة وذكر اسمه فى خطبه الجمعه كسلطان على تلمسان والبلاد وضرب العملة بأسم السلطان الحفصى وأرسلها اليه[٢] فأقال السلطان الحفصى وزراؤه وعادوا الى تونس، وكانت للظروف الجوية السيئه ان هلك الكثير من جيوشه[٣].

ولكن تلك التبعية والخضوع للسلطان الحفصى لم تستمر طويلًا إذ بادر المتوكل بالاستقلال عن السلطان الحفصى وخلع طاعته واستبد بالحكم ونقض البيعة والعهد[٤].

وتوفدت على السلطان أبى عمرو عثمان ووزراؤه وفود الاعراب يطلبون منه التحرك الى تلمسان وبالفعل أمر السلطان وزراؤه بإعداد وتجهيز الجيوش وارسل فى شوال ٨٧٠هـ بقيادة محمد بن فرح الجبائى وجعل صاحب مشاورته ومدير أمره الى الشيخ أحمد البنزرتى ومعهم امير زيانى يسمى أبو جميل زيان ثم تحرك السلطان بصحبة وزراؤه وجيش آخر الى تلمسان وشدد الحصار على المدينة، وقاتل الامير الزيانى ورجاله اشد قتال، وتحصنوا بالاسوار والمرابع والسهام، وامر السلطان وزراؤه بهدم الاسوار والسيطرة على البلد فى صبيحه

(١) الزركشى: المصدر السابق، ص١٥٢-١٥٣.

(٢) ابن عبدالباسط: الروض الباسم، تحقيق برنشفيك، ص٦٩-٧٠؛ المطوى: السلطنة، ص٣٢٠؛ برنشفيك: المرجع السابق، ج١، ص٢٩١.

(٣) المطوى:السلطنة، ص٦٣١؛برنشفيك:المرجع السابق، جا، ص٢٩١.

(٤) المطوى:السلطنة، ص٦٣٢.

تلك الليلة لولا غزارة الامطار[١] وعندما شعر الامير الزيانى بصعوبة موقفة ارسل وفدًا ببيعة مكتوبة، يقر فيها بتبعيته للسلطان الحفصى أبى عمرو عثمان والسيادة الحفصية على بلاده

وكتب كتابًا بخط يده يشهد عليه رجال كبار ورجال دولته ويقول الزركشى[٢] فى ذلك ((شهد على نفسه عبدالله المتوكل عليه محمد لطف الله به ولاحول ولاقوة الابالله)) وأعطى ابنته بكرًا للمولى أبى زكرياء ابن المولى المسعود[٣] دون خطبه فقبل السلطان راجعًا الى حضرة تونس فى شعبان ٨٧١هـ/١٤٦٦م[٤].

وبعد أبى عمرو عثمان دخلت البلاد فى فوضى وانهيار وضعف السلاطين الحفصيين وظلت تحتفظ بأسمها فقط بينما نخرت عوامل الضعف والانهيار فى جسدها وتفككت نقلت وحدتها بين أمراء البيت الحفصى حتى اصبحت مطمع للبلاد الاخرى حتى دخلها الاسبان وتنازلوا لهم عن وهران عام ٩٤٠هـ/١٥٠٤م، حتى دخل الاتراك البلاد وانتهى النفوذ الحفصى فى المغرب الاوسط[٥].

---

(١) الزركشى:المصدر السابق، ص١٥٧.

(٢) المصدر السابق، ص١٥٨.

(٣) هو ولى العهد ولم يأتى مثله من بنى حفص مثله من عفاف وديانه وبر وأمانه راجع ابن الشماع:المصدر السابق، ص؛ ابن أبى دينار: المصدر السابق، ص١٧٩، المطوى: السلطنة: ٦٤٠-٦٤١.

(٤) الزركشى:المصدر السابق، ص١٥٨؛ برنشفيك:المرجع السابق، ج١، ص٢٩١؛عبدالعزيز فيلالى:تلمسان، ج١، ص٧٣

(٥) يحيى بوعزيز:المرجع السابق، ص٢٠٣؛برنشفيك:المرجع السابق، ج١، ص٣١٠؛المهدى

دور الوزراء في العلاقات الحفصية المرينية

لعبت الظروف السياسية دورًا كبيرًا في العلاقات بين الدولتين الحفصية والمرينية خاصة، ومجريات الأحداث في منطق المغرب والأندلس عامة، ولكن الاستقلال الحفصيين بأفريقية عنه ولدولة الموحديه قبل غيرهم من الدول المجاورة من مرينين وبني عين الواد، قد ساهم الشكل في اعتراف الدولة المرينية الناشئة على مسمع الأحداث السياسية بالتبعية للدولة الحفصية، وساعدها على ذلك ضعف الموحدين في المغرب الأقصى وهزيمتهم في موقعة نكور[١] بقيادة الأمير عبد الحق المريني[٢] وأعلنت الدولة الحفصية عن نفسها

بن شهرة:المرجع السابق، ص٩٤٣، ٩٦٠-٩٦١.

(١) ابن أبى زرع: الزخيرة السنية، ص٢٨، الانيس الطرب، ص٢٧٢-٢٧٣ لسلاوي: الاستقضا، ص٣، ص٦٠٥. - أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية معجم الأسر الحاكمة، دار المعارف، القاهرة، ص١، ٨٩، يحيى بوعزيز الموجز في تاريخ الجزائر، المطبوعات الوطيتة الجزائرية، ط١، الجزائر ١٩٦٥، ص١، ١٢، مراجع عقيلة الغناي: سقوط دولة الموحدين، منشورات جامعة قاريونس، بنعازي، ليبيا ٣٤٨٨، ص٢٦٧، ليفي يروفنسال: نخب تاريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى، باريس، ١٩٤٨، ص٧٦

* وادي نكور: يقع هذا الوادي بين رباط تازة بقمر مده وتقع عليه مدينة نكور وهي عامرة بالأسواق والبساتين، راجع البكري: المغرب ص٩٠ – ٩٤ الحميري الروض المعطار، ص٥٧٦.

(٢) عبد الحق المريني: هو عبد الحق من محيو بن أبى بكر بن حمامة بن محمد بن مرين وكنينه أبا محمد، وكان أبيض اللون طويل القامة بعيد المنكبين حسن الوجه فارسًا تقبا ورغا عادلًا يحب السالكين ويحنوا على الفقراء ولد بأرض الزاب بأفريقية عام ٥٤٢ هـ/١١٤٧ وقتل في ٢٢ جمادي الثانية عام ٦١٤هـ/ ١٢١٧م، راجع ابن الأحمر: روضة التسرين ص١٤-١٥، النفحة النسرينية، ص٣٣، ابن أبى زرع: الانيس المطرب، ص٢٨٤-٢٨٧، محمد اسماعيل: المرجع السابق، ص٤٠.

عندما عملت على توحيد بلاد المغرب حتى قيامها في الوقت التي كانت فيه الدولة الموحدية بقيادة الرشيد الموحدي (٦٣٠هـ - ٦٤٠هـ/ ١٢٣٢ - ١٢٤٢م) تحتضر، فقام الحفصيون بمساعدة وزراؤهم بتوسيع رقعة دولتهم إلى ركاية وقسطيطينة شرقًا بما تحتويه من موارد بشرية واقتصادية كل هذا أعطاها قوة فاعترفت الدولة المجاورة بالتبعية للدولة الحفصية[1] وكانت للقوة الاسلامية الحفصية ووزراؤهم المخلصين دور عظيم في المنطقة إبان الطور الأول الذي تميز بالقوة واتساع النفوذ، حيث كان السلطان ابوزكرياء ووزراؤه يسعون دائمًا استقلال تونس الحفصية وعدم الانصياع للدولة الموحدية المختصرة التي تفككت عراها بالتوراث من الأندلس إلى المغرب[1] ومع قوة السلطان المستعصر الحفصي ووزراؤه الذين استهلوا ببيعتها بني مرن فاس سنة ٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م حيث أكرم السلطان المستعصر الحفصي ووزراؤه رسول السلطان المريني، وكان لهذا البيعة أثرها على السلطان الحفصي والذي

(١) الزركشي المصدر السابق، ص٢٣-٢٥، عاشور بوشامة: المرجع السابق ص١٧٢ / محمد اسماعيل: المرجع السابق ص٤١

(٢) محمد الهادي العامري: المرجع السابق، ص١٥ حيث يحد السلطان المريني أبوبكر بن عبدالحق يصيغ على حروبه ضد لموحدين في المغرب الأقصى الشرعية بولائه للحفصيين وتحرك للاستيلاء على مدى المغرب الأقصى. راجع ابن غازي: الروض العمتون، مخطوط، ورقة١٤، ابن أبى زرع: الانيس المطرب ص٢٩٢-٢٩٣، الزخيره، ص٧٢، ابن خلدون: العبر، ص٧، ص١٣، ص٣٥٢-٣٥٣، السلاوي: الاستعصا، ص٣، ١٣ مجهول: الجلل الموشيه، ص٧٤، السيد سالم: المرجع السابق، ص٨٦٩، جوليان: المرجع السابق، ص٢، ٢١٥

استقبلهم هو وزراؤه بالحفاوه والتكرم والترحاب[٢].

وظل وزراء السلطان المستعصر الحفصي يقومون بدورهم الفعال في بلاد المغرب والأندلس حتى أرسل السلطان المريني يعقوب[٣] الحكم بعد وفاة أخيه أبى يحيى مبايعته للسلطان الحفصي مع وفد كبير وهدايا ثمينة، وطلب من السلطان المستنصر ووزراؤه إعانته ومساعدته ضدا لموحدين من أجل القضاء عليهم[٤] وأدى الوزراء دورًا هامًا في تبادل السفارات بين البلدين[٥].

واستقبل السلطان المستنصر ووزراؤه سفارة مرينية من السلطان أبو يوسف يعقوب تحمل كتابًا من السلطان المريني يخبر فيها السلطان الحفصي باستيلائه على مراكش وقتل أبى دبوس الموحدي[١] وظلت المراسلات

(٢) ابن خلدون: العبر، ص٦، ص١٢، ص ٦٥١

(٣) يعقوب بن عبد الحق: لقب بالقائم بأمر الله والمقصود به وكنيته أبا يوسف، وكان أبيض اللون معتدل الجسم حسن الوجه والصورة، أشيب تاب فارسا شجاعًا يوبع عام ٦٠٦هـ/ ١٢٥٨م وتوفى بالجزيرة الخضراء بالأندلس في ٢٢محرم عام ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م راجع ابن الاحمر: روضة النسرين، ص١٧-١٩ النفحة النسرينية، ص٣٦-٣٨، ابن أبى زرع: الانيس المطرب، ص٢٩٧-٢٩٩، ابن مرزوق: السند، ص١١٥-١١٦

(٤) محمد المطوي: السلطنة، ص١٨٧

(٥) الغبريني: عنوان الدراية، ص٧٤-٧٥

(١) ابودبوس الموحدي: هوأبوالعلاء إدريس من السيد محمد بن السيد عمر من أمير المؤمنين عبدالمؤمن من علي، قسم تأييد المؤمنين وتلقب بالواثق بالله، وكان أبيض اللون أشقر، شجاعًا، أديبًا عفيفًا وابن أبى زرع: المصدر السابق ص٢٥٩، ٢٦١ ابن عذاري المركشي: البيان المغرب: قسم الموحدين، ص٤٤٥.

والسفارات عن طريق الوزراء الحفصيين بين الدولتين على مايرام[١] حيث أرسل المستنصر الحفصي إحدى وزراؤه مع وفد إلى فاس عاصمة المريتين عام ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م بعد رحيل حملة لويس عن تونس، ليخبر السلطان المريني بنتائج هذه الحملة[٢] وأرسل السلطان المستنصر سفارة أخرى إلى فاس ستة ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م بعدما سيطر المرينيون على المغرب الأقصى وقضوا على بقايا الموحدين من أجل تهنئته للسلطان المريني بالانتصار[٣].

ومع نهاية فترة حكم المستنصر ووزراؤه الأقوياء مثل محمد بن الحسين الوزير الأكبر[٤] والوزير أبى يزيد من جامع والوزير أبى عبدالله محمد بن أبى مهدي الهتناني الذين كان لهم دور كبير وفعال في التوسع والنفوذ والاشعاع الحضاري في جميع المجالات وابقاء الدولة المجاورة لها على التبعية للحفصيين وذكر اسم السلطان الحفصي في خطبة الجمعة وكانت فترة حكم السلطان الواثق هي بداية التحول من القمة إلى الهواية حيث ضعف السلطان وسيطرة الوزراء على مجريات الأمور في الدولة الحفصية التي انهارت أمام الأزمات والأحداث التي مرت بالدولة أبان فترة حكم هذا السلطان[٥]حيث اشتد الصراع على الحكم والتنافس بين الوزراء فخلع المرينيون طاعة

(١) ابن القنفذ: المصدر السابق، ص١٣١.

(٢) ابن خلدون: العبر، ص٦، ص١٢، ص٦٦٣.

(٣) عاشور بوشامه: المرجع السابق، ص١٧٨-١٧٩.

(٤) ابن القنفذ: الفارسية، ص١١٨.

(٥) المطوي: السلطنة، ص٢٢٧.

الحفصيين[١] ومع ذلك استمر السلطان الواثق على علاقاته مع السلطان المريني أبى يوسف يعقوب المريني حيث أرسل إليه سفارته وهدايه أبى فارس من أجل تدعيم العلاقات بين الدولتين ومواجهتها بوجه الفتور في العلاقات بين الدولتين.

ولكن مع شدة ضعف الحفصيين بسبب الصراع بين الوزراء على السيطرة على السلطان وانتشار الدسائس بينهما وبدأ المرينيون التطلع نحو المغرب[٢] فقاموا بحصار تلمسان سنة ٦٩٥هـ في حين كان الصراع بين الوزراء الحفصيين وبعضهما البعض على أشده حيث التقت قوات السلطان الحفصي على الوزير الأكبر عبدالحق بن سليمان في صفر من نفس العام بتأييد ومباركة ابن اللحياني ولذا تولى منصب الوزير الأكبر للسلطان الواثق وهرب أبناء الوزير السابق عبد الحق بن سليمان وهما محمد وعبدالله إلى السلطان المريني أثناء حصاره لتلمسان[٣] وأصبح الوزير الأكبر بن اللحياني في عهد السلطان أبى عصيدة هو رئيس الدولة الفعلي ولذا ارتكب هو وجيوشه أفظع الأعمال الوحشية من قتل وتنكيل بالأهالي وبث الرعب والهلع في نفوسهم أثناء مهاجمة إمارة بجاية المنشقة عن الدولة الحفصية.

فقام الوزير ابن اللحياني بتبادل المراسلات والسفارات والهدايا إلى

---

(١) السلاوي: الاستفصا، ص٣، ص٢٨-٢٩

(٢) عاشور بوشامه: المرجع السابق ص١٨١.

- E. Alexander Powell: In Barbary. Tunisia, Algeria, Moraco, and the Sahara. London, P. ٣٣٤.

(٣) ابن خلدون: العبر مجـ٦، جـ١٢، ص٧١٢

السلطان المريني يوسف ابن يعقوب بفاس بهدف القضاء على الدولة الزيانية وسلطان بجاية المنشق وبالفعل استجاب السلطان المريني ولذا تحرك إلى بجاية بجيوشه التي لم تستطع دخول المدينة ولكنهم عاثوا فيها الفساد ونشروا الرعب والفزع بين سكان المنطقة[١] ومع قوة ونفوذ الوزير الأكبر ابن اللحياني والذي كان يعتبره السلطان المريني أولى بالخطاب والمراسلة من السلطان أبى عصيدة الذي كانت سلطاته متقلصة بسبب سيطرة الوزراء عليه[٢] فكان السلطان يوسف ابن يعقوب يكاتب السلطان أبى عصيدة تعريض ويكاتب رئيس الوزراء تصريحا[٣] لأن الوزير الأكبر قد أرسل الوزير أبا عبدالله من أكمازير إلى فاس محملًا بالهدايا بين الطرفين أثناء حصار تلمسان[٤] وكان لاتصال المرينيين بالسلطة الحفصية عن طريق كبير الوزراء ابن اللحياني دور كبير في معرفة مواطن الضعف والقوة في الدولة الحفصية[٤] وظل كبير الوزراء ابن اللحياني يحرض السلطان المريني من خلال سفاراته ومراسلاته بمهاجمة بجاية واحتلالها[٥].

وبعد توحيد الدولة الحفصية سنة ٧٠٩ هـ ١٣٠٩م بقيادة سلطان أبى البقاء خالد بعد مقتل السلطان أبى بكر بن عبد الرحمن الملقب بالشهيد[٢] وإذ

(١) ابن خلدون: العبر مجـ٦، ص١٢، ص٧١٤ المطوي: السلطنة ص٢٩١

(٢) ابن خلدون: العبر مجـ٦، جـ١٢، ص٧١٣

(٣) المصدر السابق: مجـ٦، جـ١٢، ص٧١٥

(٤) المصدر السابق: مجـ٦، جـ١٢، ص ٧١٣-٧١٥ عاشور بوشامه المرجع السابق ص١٨٥

(٤) عاشور بوشامه: المرجع السابق، ص١٨٦

(٥) المطوي السلطنة: ٢٩٥

(٢) الزركشي: المصدر السابق: ص٢٩ ابن خلدون العبر، مجـ٦، جـ١٢، ص٧٣٤

تم تبادل السفارات بين بجاية وفاس[١] ومن هنا نجد أن الوزراء الحفصيين لعبوا دورهم في الحفاظ على العلاقات مع المرينيين وعدم توترها[٢].

وظهر على الوجود وزير آخر كان له بيع كبير في العلاقات الحفصية المرينية في عهد السلطان أبى بكر بن يحيى الحفصي (٧١٨-٧٤٧هـ / ١٣١٨-١٣٤٦م) وهو الوزير الحاجب ابن تفراجين الذي تدرج بسرعة في المناصب القيادية في الدولة الحفصية حيث وثق به السلطان وأرسله في سفارة خاصة للسلطان المريني أبى سعيد المريني[٣] عام ٧٣٠ مع ابنه الأمير الحفصي أبى زكرياء الحفصي على رأس سفارة للاستنجاد به ضد بني عبد الواد أصحاب تلمسان[٤] ولعب الوزير ابن تفراجين دورًا عظيمًا في توطيد العلاقات الحفصية المرينية، وعقد تحالفًا بينهم كان للجانب الاجتماعي اليد البيضاء في تلك

(١) ابن القاضي: درة الحجال جـ٢، ص١٠١-١٠٢ عاشور بوشامه: المرجع السابق ص ١٨٩

(٢) عاشور بوشامه: المرجع السابق ص١٨٩.

(٣) ابوسعيد عثمان هو أعظم سلاطين بني مرين حيث وصلت الدولة في عهده إلى قمة ازدهارها السياسي والاقتصادي والثقافي وخضعت له جميع القبائل والفقهاء والقضاء وهو والد السلطان أبى الحسن المريني والأمير أبو علي عمر راجع ابن خلدون: العبر جـ٧ جـ ١٣، ص٥٠٣ - ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص٣٩٦، السلاوي: الاستقصا جـ٣ ص١٠٤، ابن مرزوق المسند ص١٢٣، الحسن ابن الحبيب (الحسن ابن عمر ابن حبيب) تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ت محمد محمد أمين راجعه سعيد عاشور – الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٧٦، جـ٢، ص٣٥، أبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن محمد) المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية – القاهرة ١٩٦٢ جـ ٤، ص٧٨، احسان حقي المغرب العربي، ص٩٣، الزركلي: الأعلام، جـ٥، ص٥٤، ألفريد بل: المرجع السابق ص٣٠٧، إبراهيم حركات المرجع السابق، ص٣٥.

(٤) الزركشي: المصدر السابق ص٦٧-٦٨.

المعاهدة حيث قام الوزير ابن تفراجين باتخاذ المصاهرة سلاحا من أجل إتمام هذا التحالف الحفصي المريني ضد بني زيان أصحاب تلمسان فزاوج الحرة فاطمة ابنة السلطان أبى بكر الحفصي من الأمير أبى الحسن على ابن السلطان أبى سعيد المريني سنة ٧٣١هـ ١٣٣٠-١٣٣١م[١] وكذلك خرج الوزير الحاجب ابن تفراجين إلى السلطان المريني أبى الحسن كسفير للمرة الثانية سنة ٧٣٥هـ- ١٣٣٤- ١٣٣٥م من أجل تجديد المعاهدة السابقة وتوثيق عرى التحالف بين الحفصيين والمرينيين ضد العدو الزياني بتلمسان المتربص بحدود الدولتين[٢] ومن أجل ذلك كان له دور عظيم من أجل اتمام المصاهرة الثانية بين الحفصيين والمرينيين من أجل توثيق عرى التحالف بينهما عندما أقنع السلطان الحفصي أبى بكر سنة ٧٤٧هـ - ١٣٤٦م بضرورة إتمام هذا الزواج من الحرة عزونة ابنة السلطان أبى بكر من السلطان أبى الحسن المريني وذلك بعد مقتل أختها فاطمة أثناء معركة طريف[٣] في الأندلس والتي هزمت فيها

(١) يحيى ابن خلدون: بغية الرواد جـ١، ص٢١٨، الزركشي: المصدر السابق: ص٦٨، حسن حسني سليمان: خلاصة تاريخ تونس، ص١٢٧، رضوان البارودي سفارات متبادلة بين أبى زيان وأرجوان دار نشر الثقافة – الاسكندرية ص٤٣ / ١٩٨٤، المطوي: السلطنة ص٣٤٤-٣٤٥ / مارسيه (بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي)- ترجمة محمود هيكل- الاسكندرية ١٩٩١ ص٣٤١-٣٤٢، برنشفيك المرجع السابق: جـ١، ص١٧٩-١٨٠

(٢) الزركشي: المصدر السابق ٧٣، كمال السيد أبومصطفي – دراسات مغربية وأندلسية ص٥٦

(٣) وقعت هذه المعركة بين جيوش أبى الحسن المريني وجيوش قشتالة يوم الاثنين السابع لجماد الأولى ٧٤١هـ - ١٣٤٠م وكانت الهزيمة ساحقة ومصيبة جيوش أبى الحسن أشد وكان النصر حليف ألفونسو الحادي عشر واستشهد عدد غفير من المسلمين وكان لأبو الحسن دورًا بطولي رائع في هذه المعركة وقتل واستشهد عدد منهم مثل الوزير أبوثابت عامر

السلطان أبى الحسن المريني سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م من قشتاله[١] وكان صداق عزونه من قبل السلطان المريني أبو الحسن ١٥ ألف دينار ذهبًا ومائتي خاتم[٢]

وكان الوزير ابن تافراجين صاحب بعد نظر وحنكة سياسية، حيث بذل جهودًا عظيمة لإقناع السلطان الحفصي أبى بكر بالموافقة على هذه المصاهرة لأنها تعتبر هي السند القوي الذي يوطد علاقته وصداقته بالسلطان أبى الحسن ليكون عونًا وملجئًا آمنا له في حالة تقلب الأحوال بالحاضرة تونس، أو حدوث ما يعكر سيطرته على السلطان وينقلب السلطان عليه، بالإضافة إلى مساعدة السلطان المريني إلى صهره في حالة أي حرب داخلية أو خارجية[٣].

وبالفعل حدث ما كان يخشاه الوزير ابن تافراجين عندما تغيرت علاقة السلطان أبى حفص معه بسبب الواشيات والغيرة بين الوزراء الحفصيين وقام

السدراني وأبوالمجاهد غازي بن الكاس، راجع ابن خلدون: العبر مجـ٧، جـ١٣، ص٢٦١-٢٧٢ / المقري: نفح الطيب، جـ٥ ص١٥، ابن الخطيب: الاحاطة جـ٤ ص٣٢٢، اللمحة البدرية، ص١٠٩، ابن رضوان: الشهب اللامعة ص١٢، ابن الخطيب: نفاضة الجراب جـ١ ص٤٤، ابن عماد الحنبلي: شذارت الذهب جـ٦ ص ١٢٧، المقريزي: السلوك جـ٢ ق٣ ص٦٧٠، البلوي: تاج المفرق، جـ١ ص١٣٧، محمود السيد: تاريخ العرب في الأندلس، ص٨٦، مقديش: نزهة الأنظار، جـ٢ ص٥٧٢ المبروك غنيه الأسطي: حركة الجهاد المشترك ص٢٢٥، ضيا باشا: الأندلس الذاهبة، جـ٣، ص١٨٢، حوليات: تاريخ أفريقيا الشمالية جـ٢ ص٢٣٠، سامية مسعد: الجهاد الاسلامي في الأندلس، ص١٣١

(١) ابن الخطيب: الاحاطة، جـ٤ ص٣٢٢ ابن خلدون،: العبر، مجـ٦، جـ١١، ص ٢٦٦-٢٦٧

(٢) الزركشي: المصدر السابق، ص٧٦، السلاوي: الاستقصا، جـ٣، ص١٥٣، مقديش: نزهة الانظار، مجـ٢، ص٥٧٢ برنشفيك: المرجع السابق، جـ١، ص١٩٤

(٣) السيد كمال أبومصطفى: دراسات مغربية وأندلسية، ص٥٨-٥٩

الوزير على الفور باستدعاء السلطان أبى الحسن المريني بالاستيلاء على أفريقية[١] وقام بتمهيد الطريق للسلطان أبى الحسن المريني وجيوشه بغزو افريقية وتخلى عن السلطان الحفصي أبى حفص وهرب إلى السلطان المريني ليس اخلاصًا له ولكن من أجل الحفاظ على مطامعه ومناصبه السياسية دون النظر إلى مصلحة الدولة الحفصية الهشة أبان تلك الفترة[٢].

وتحرك السلطان أبو الحسن المريني إلى تونس وهو راكب فسطاطه ومعه الوزير الحاجب محمد ابن تافراجين[٣] وتمكن الاستيلاء على العاصمة الحفصية في ٨جمادي الأخرة سنة ٧٤٨هـ/ سبتمبر ١٣٤٧م وهرب السلطان أبو حفص الذي تم القبض عليه وقتل، واصطحب الوزير ابن تافرجين السلطان أبو الحسن المريني بأفريقية في جولته بقصور الحفصيين[٤] وعندما استقر السلطان

---

(٤) ابن الشماع: المصدر السابق، ص٩٤،. الزركشي: المصدر السابق: ص٨٢، ابن أبى دينار المصدر السابق ص١٤٦، برنشفيك: المرجع السابق جا، ص١٩٦-١٩٧

Josefa mutge vives algunas oticias sobre la relactions entereala corona catalano aragonesa Y EL reion de tunez. En actas del coloquio. Madrid. ١٩٨٨. P.١٣٧

(٥) الزركشي: المصدر السابق، ص٢٨٢، ابن الشماع المصدر السابق، ص٩٤-٩٥، ابن أبى دينار: المصدر السابق، ص١٤٥-١٤٦، القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٥، ص١٢٦-١٢٧، محمد الهادي العامري: المرجع السابق، ص٩٥-٩٧.

- Bernard Lugan: Histoiore du moaroc, perrin/criterion, p. ١٢٧.

(٣) ابن خلدون: العبر، مجـ٧، جـ١٣، ص٨١٢، الزركشي: المصدر السابق، ص٨٢،٨١، السلاوي: الاستقصا، جـ٣، ص١٥٦، الأنصاري: فهرست الرصاع، ص٢٨، مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، عبدالهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي، جـ٧، ص٢٨، أحمد مختار العبادي والسيد عبدالعزيز سالم: تاريخ البحرية الاسلامية بحوض البحر الأبيض المتوسط جـ٢، ص٢٩٢، عبدالهادي التازي، جـ٧، ص٢٨، برنشفيك: المرجع السابق، جـ٢، ص١٩٧

(٤) الزركشي: المصدر السابق، ص٨٤، ابن الشماع المصدر السابق، ص٩٧، السلاوي:

أبو الحسن المريني بافريقية وجعل المغرب كله تحت سيطرة المرينين ولكنه قام بالضرب على أيدي القبائل العربية وانقص من جبايتهم وحرمهم من خفارتهم التي كانوا يجمعونها من البلاد وبالتالي كانوا بمثابة الوضع المتأزم الذي لا علاج له فكانوا يتحينون الفرصة من أجل القضاء على القوة المرينية[١] وهذا الوضع كان يمثل للوزير ابن تافراجين نفس الشيء على الرغم من منح السلطان ابوالحسن المريني له الوزارة ولكنه لم يمنحه نفوذه السابق، ولم يفوضه في أمور الدولة كما كان في عهد سلاطين بني حفص الضعاف مما أثار غضب ابن تافراجين الطموح الذي كان يأمل في حكم الدولة الحفصية كما وعده السلطان أبو الحسن المريني، ولهذا ظل الوزير ابن تافراجين يتحين الفرصة للثورة على السلطان أبو الحسن وطرده من أفريقية واستعادة نفوذه القديم[٢] وكانت هذه الرغبة تتماشى مع العرب الذين أخذوا يغيرون على ضواحي الحاضرة تونس وقاموا بأعمال السلب والنهب والتخريب فحاربهم

الاستقصا، جـ٤، ص١٦٠-١٦١ المطوي: السلطنة، ص٣٨٨-٣٨٩، برنشفيك: المرجع السابق، جـ١، ص٢٠٠، السيد كمال أبو مصطفى: دراسات مغربية وأندلسية، ص٦٣

(١) ابن دينار: المصدر السابق، ص١٦٩، الزركشي: المصدر السابق، ص ٨٣، ١٦٦، الزرهوني: الملعبة، ص١٨-٢٠، الأنصاري: فهرست الرصاع، ص٢٠ هامش، السلاوي: الاستقصا جـ٣، ص١٥٨، مصطفى، أبوضيف: أثر العرب في تاريخ المغرب، ص١٨٠-١٨١، محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، ص٨٩، جوليان: تاريخ أفريقية الشمالية: ص١٨٤، الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس، ص١٢٠.

Bernard lugon: op.cit., P. ١٢٨.-

(٢) الزركشي: المصدر السابق، ص٨٤، ابن الشماع: المصدر السابق، ص٩٧، السلاوي: الاستقصا، جـ٤، ص١٦٠-١٦١، المطوي: السلطنة، ص٣٨٨-٣٨٩، برنشفيك: المرجع السابق، جـ١ ص٢٠٠، رشا سالم: المرجع السابق ص٢٠٠

السلطان أبو الحسن المريني ولكنهم انتصروا عليه وحاصروه عام ٧٤٩هـ/١٣٤٨م حصارًا شديدًا بالعاصمة تونس[١] حيث هرب إليها السلطان المريني ووزراؤه للاحتماء بها[٢].

وأثناء هذا الحصار طلب العرب من السلطان المريني أن يخرج لهم الوزير ابن تافراجين للتفاوض معهم بشأن رفع الحصار وكانت هذه الحيلة تهدف إلى إخراج ابن تافراجين بعيدًا عن السلطان وضمه إليهم وبالفعل حدث ما توقعه الأعراب فخرج ابن تافراجين الوزير المحنك وانضم بالفعل إليهم[٣] وتخلى الوزير عن السلطان المريني حيث عينته القبائل حاكمًا لسلطانهم أحمد بن أبى دبوس وأرسلوا الوزير الحاجب مع السلطان لمحاربة السلطان أبى الحسن المريني المحاصر بتونس[٤].

وقام الوزير الحاجب ابن تافراجين في تدبير الحيل وتشجيع القبائل العربية

(١) النباهي المالقي: تاريخ قضاة الأندلس، بيروت، ١٩٨٣، ص٢٣٥، يحيى ابن خلدون: بغية الرواد، جـ١، ص٢٣٥، ابن الشماع: المصدر السابق، ص٩٦، السلاوي: الاستقصا، جـ٤ ص١٥٩-١٦٠.

(٢) يحيى ابن خلدون: بغية الرواد، جـ١، ص٢٣٥، ابن أبى دينار: المصدر السابق، ص١٦٩، السلاوي: الاستقصا، جـ٣، ص١٦٢، مقديش نزهة الأنظار، جـ١ ص٥٢٧، جوليان: تاريخ افريقية الشمالية، جـ٢ ص١٨٤، رشا سالم: المرجع السابق، ص٢٠٠.

(٣) الزركشي: المصدر السابق، ص٨٤، الزرهوني: الملعبة، ص٨٧ عبدالهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي، جـ٧ ص٢٩-٣٠، رشا سالم: المرجع السابق، ص٢٠١.

(٤) يحيى ابن خلدون: بغية الرواد، جـ١، ص٢٣٥، السلاوي: الاستقصا، جـ٣، ص١٦١، ابن رضوان الشهب اللامعة، ص١٥، ابن دينار المصدر السابق، ١٦٩الغنيمي المرجع السابق، مجـ١، جـ٥ ص٢٥٩.

من أجل الخروج للانتقام من السلطان المريني وطرده من تونس[١] وانضمت القبائل العربية وشيوخ الموحدون وبعض العامة إلى الوزير ابن تافراجين واتجهوا جميعًا إلى القصبة وشددوا عليها الحصار[٢] وكان الأمر لدى الوزير ابن تافراجين عندما نصبوا المجانيق على القصبة والجنود المرينون بها الذين صمدوا في وجه الحفصيين والوزير الطموح[٣] وعلى الفور فكر الوزير الفرار بنفسه عندما علم أن السلطان أبا الحسن خرج من القيروان إلى سوسه فتسلل من أتباعه العرب وركب احدى السفن إلى الاسكندرية[٤] في ربيع الثاني ٧٤٩هـ/ ١٣٧٨م[٥] وفي الصباح التالي أين المحاصرين المحاصرون من

(١) وذكر الزرهوني أن خروج الوزير ابن تافراجين على السلطان ابوالحسن المريني تعتبر خيانة حيث قام بحوار ذكره الزرهوني مع ابن خالد أحد مشايخ هؤلاء الأعراب وقال أحدهم للآخر: فكر في حيلة من الحيل الساسانية القوية تكون سببًا في زرع الفتن ضد أبو الحسن فأجابه: لا سبيل للتخلص من ابوالحسن إلا بالايقاع بينه وبين الأعراب راجع الملعبة، ص٨٥-٨٨، الأنصاري فهرست الرصاع، ص٣٠هامش

(٢) الزركشي: المصدر السابق، ص٨٤-٨٨، يحيى ابن خلدون: بغية الرواد، جـ١، ص٢٣٥، السلاوي: الاستقصا جـ٣، ص١٦١، ابن رضوان: الشهب اللامعة، ص١٥، ابن دينار: المصدر السابق، ص١٦٩، مقديش، نزهة الأنظار، مجـ١ ص٥٧٧، الغنيمي موسوعة المغرب، مجـ٢، جـ٥، ص٢٦٠،٢٥٩

(٣) يحيى ابن خلدون: بغية الرواد، جـ١، ص٢٣٦، الزركشي: المصدر السابق ص٨٤، السلاوي: الاستقصا، جـ٣، ص١٦١، ابن رضوان: المصدر السابق، ص١٥.

(٤) الزركشي: المصدر السابق، ص٨٤-٨٥، السلاوي: الاستقصا، جـ٣، ص٢٦١، برنشفيك: المرجع السابق، جـ١، ص٢٠٠.

(٥) الزركشي: المصدر السابق، ص٨٤-٨٥، ابن الشماع: الأدلة، ص٩٧-٩٨، برنشفيك: المرجع السابق، جـ١، ص١٩٩-٢٠٠، Terrase op-cit,p٥٩.

Bernrd Lugan: op.cit., P. ١٢٨.-

الحفصيين والعرب هروب الوزير فاضطرب أمر سلطانهم ابن أبى دبوس، فانقضوا على القصبة وأخرجوا ممن بداخلها وعندما علم المرينيون بذلك استولوا على البلد وخربوا منازل الحاشيه التي بها[١].

وعندما رحل السلطان الماريني أبو الحسن عن افريقية عائدًا إلى فاس، كانت الأحداث بأفريقية مهيئة لعودة الوزير ابن تافراجين بعد أداء فريضة الحج ومعه عمر ابن حمزة زعيم أولاد أبى الليل من عرب الكعوب واتفقوا على العودة إلى تونس والاستيلاء عليها من السلطان الفضل، واستطاعوا من خداع السلطان واعتقلوه ودخل ابن تافراجين تونس وبسط سلطانه عليه في ١١ جمادي الأولى سنة ٧٥١هـ/ يوليو ١٣٥٠م، وعزل السلطان الفضل وبايع السلطان الطفل أبا اسحاق والذي تولى الوزير الحاجب ابن تافراجين كفالته[٢] وكانت العلاقة قد اشتدت سوءًا بين السلطان أبى عنان والوزير الحاجب ابن تافراجين بسبب الموقف السلبي للوزير في اتمام زواج السلطان أبى عنان من ابنة السلطان أبى بكر الحفصي ولذا رفض هذا العرض[٣] وكذلك قرر السلطان أبو عنان فارس التحرك على أفريقية والسيطرة عليها وبالفعل أرسل حملته إلى تونس واتجه إلى قسطينه حيث طلب السلطان الحفصي الأمان له

(١) الزركشي: المصدر السابق، ص٨٥، السلاوي: الاستقصا، جـ٣، ص١٦١، مصطفى أبوزيد: المرجع السابق، ص١٨٢

(٢) الزركشي: المصدر السابق، ص٩٠، ابن القنفذ: الفارسية، ص١٧٤، ابن الخطيب اللمحة البدرية، ص١١٩، ابن دينار المصدر السابق، ص٤٨، القلقشندي: صبح الاعشى، جـ٥، ص١٢٧، محمد الهادي العامري: المرجع السابق، ص١٠٦-١٠٧.

(٣) ابن القنفذ: الفارسية، ص١٧٤

ولوزراؤه فأعطاه اياه ولكن خاف السلطان أبو عنان من خروج السلطان الحفصي عليه فأرسله إلى سبته معتقلًا بها[١] ثم أرسل السلطان أبو عنان وفدًا إلى الوزير الحفصي المستبد المسيطر على أمور الحكم من أجل دعوته للدخول في طاعتها والتنازل عن تونس، ورفض الوزير ابن تافراجين لاستجابة مطلب السلطان المريني حيث الخضوع والتسليم للمرينيين سيؤدي بالتأكيد إلى تخليه عن سلطانه كما حدث أثناء السلطان أبى الحسن المريني، حيث أدرك أن المرينيين يفضلون تولي وإدارة شئون بلادهم بأنفسهم ولا يقضون ذلك لوزراء أو حجاب البلاد التي يستولون عليها على العكس من طموحات الحاجب ابن تافراجين[٢] وعلى الفور قرر السلطان أبو عنان ارسال جيشًا بريًا واسطول بحريًا من أجل الاستيلاء على عامة ولدولة الحفصية وتصدى لهم الوزير الحاجب ابن تافراجين بقواته في شعبان سنة ٧٥٨هـ/ ١٣٥٧م[٣] وصمد في

(١) ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص١٢، ص٨٣٧-٨٤٠، السلاوي: الاستقصا، جـ٣، ص٢٠١-٢٠٢، مارمول كربتال: إفريقية، جـ٣، ص٢٥، ابن تغري بردي (يوسف بن تغري بردي الأتابكي جمال الدين أبو المحاسن): المتحمل الصافي والمستوفي بعد الصافي، حققه ووضع حواشيه، محمد محمد أمين، تقديم سعيد عبد الفتاح عاشور: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤، جـ٢، ص١٠٦، ١٠٧، محمد بن تادويت: تاريخ سبتة، ص١٤٢.

- Varbau Nevil, Morocco, Thams and Hudson, London, ١٩٦٥, P. ١٣٦.

(٢) الزركشي: المصدر السابق، ص٩٦-٩٧، ابن أبى دينار، المصدر السابق، ص١٤٩، أبى الحاج: فيض العباب وإفاضة ايضاح الآداب في حركة السعدية إلى قسنطينة والزاب، دراسة واعداد محمد بن شقرون، دار الغرب الاسلامي، ط١، بيروت، ص١٠٦-١٠٧

(٣) السلاوي: الاستقصا، جـ٣، ص٢٠٢، ابن أبى دينار: المصدر السابق، ص١٧١، الزركشي: المصدر السابق، ص٩٧، كمال أبومصطفى: دراسات، ص٢٧٣، رشا سالم: المرجع السابق، ص٢٠٨، المطوي: السلطنة، ص٤٢٩، جلويان، تاريخ إفريقيا الشمالية، جـ٢، ص٢٣٤.

المقاومة حتى اشتد الحصار غايته ووصل أخبار بقدوم السلطان أبى عنان بجيوش أخرى. إلى تونس، فخاف الوزير ابن تافراجين صعوبة موقفه، فبادر بالفرار مع بعض رجاله وخدمة إلى مدينة المهدية وتحصن بالمدينة، وترك العاصمة تتهاوى في أيدي المرينيين ووحد السلطان أبو عنان المريني بلاد المغرب تحت سلطانه وقامت له البيعة[١] وقامت الخطبة للسلطان المريني على جميع منابر أفريقية ماعدا توزر وسوسه والمهدية الخاضعة تحت نفوذ الوزير الحاجب ابن تافراجين وسرعان ما حدث تمرد في جيش السلطان وأسرع الوزير فارس من ميمون بالانسحاب والعودة إلى المغرب الأقصى[٢] ثم تبعه السلطان ابوعنان وحدثت ثورات ضد المرينيين بتونس مما اضطرهم إلى

- Bernard Lugan: op.cit., P. ١٢٨. L.P. Harvey, op.cit., ١١٦-١١٧.

(١) بعدما استولى جيش السلطان أبى عنان بقيادة الوزير فارس بن ميمون على قسنطينه جاء أمراء الأطراف من نفطه وقابس وبايعوا أبى عنان كما أسرعت بعض القبائل مثل أولاد مهلهل أمراء بني كعب من سليم وأولاده أبى الليل لمبايعته أيضًا وشجعوه على المتوجه لغزو تونس فما كان من السلطان أبى عنان إلا وأرسل قوات بحرية وبرية اختلت المدينة، وهذا يبين لنا مدى الضعف والانهيار التي وصلت إليه الدولة الحفصية في فترة تعود الوزير ابن تافراجين وسلطانه الضعيف راجع ابن أبى دينار: المصدر السابق، ص١٧١، السلاوي: الاستقصا، جـ٣، ص٢٠٢، مقديش: نزهة الأنظار، مجـ١، ص٥٨٢، عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي، مجـ٧، ص٣٠، احسان حقي، المغرب العربي، ص٩٤-٩٥

(٢) حيث قام الوزير المريني فارس بن ميمون بتحريض جنود الجيش المريني في أفريقية وأمرهم بالعودة إلى المغرب الأقصى مما أصاب الحملة المرينية الثانية على تونس بالفشل وعاد السلطان ابوعنان إلى فاس وهناك فيض على وزيره ابن ميمون وقتله وهكذا كانت وكان الوزير. راجع السلاوي: الاستقصا، جـ٣، ص٢٠٣، الزركشي: المصدرالسابق، ص٢٠٣، الحريري: تاريخ المغرب الاسلامي والأندلس، ص١٣٠، رشا سالم: المرجع السابق، ص٦١.

الانسحاب التام من افريقية إلى المغرب الأقصى، ولم يلبث الوزير ابن تافراجين ان عاد إلى تونس وحدد البيعة للسلطان الضعيف أبى اسحاق الحفصي واستأثر الوزير بالحكم[١] وهنا يمكننا أن نجزم بدور الوزراء سواء وزير مريني أو وزير حفصي فكلاهما يفضل مصالحه الشخصية عن مصالح الدولة والدفاع عن سلطانه، فيجد هروبا ابن تافراجين من وجه الحملة المرينية وتحليه عند سلطانه والعاصمة، وظل في المهدية، وكذلك الوزير المريني ابن ميمون والذي شجع جنوده على العودة إلى فاس وترك السلطان ابا عنان يواجه ثورات أفريقية حتى عاد إلى فاس وفشل مشروعه العظيم بتوحيد بلاد المغرب الإسلامي، وتحرك السلطان أبو اسحاق إبراهيم الحفصي بصحبة وزراؤه بقيادة الوزير ابن تافراجين على رأس جنش من تونس من أجل استرداد بجاية وقسنطينه من القوات المرينية، وبالفعل استطاع ومعه وزراؤه من الاستيلاء على بجاية في شوال سنة ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م ولكنهم فشلوا في الاستيلاء على قسنطينة[٢] وقام الوزير ابن تافراجين بتسريح الوزير يحيى بن ميمون وجنوده إلى المغرب الأقصى[٣]ثم دخلت العلاقات الحفصية المرينية فترة من الهدوء النسبي حيث دخلت الدولة المرينية في فترة صراعات وتنافس على الحكم السلاطين والوزراء المستبدين بالحكم. حتى فترة حكم السلطان الحفصي

(١) الزركشي: المصدر السابق، ص٩٨-٩٩، ابن الشماع: المصدر السابق، ص١٠٤، محمد الهادي العامري: ص١١، برنشفيك: المرجع السابق، جـ١، ص٢١، عاشور بوشامه: المرجع السابق، ص٢٠٥

(٢) الزركشي: المصدر السابق، ص٩٩، عاشور بوشامه المرجع السابق، ص٢٠٨

(٣) الزركشي: المصدر السابق، ص٩٩، ابن أبى دينار: المصدر السابق، ص١٥٠

ابوفاس عبد العزيز[١] حيث لجأ الأمير الحفصي أبى عبدالله محمد الى فاس واستقبله السلطان المريني أبو سعيد عنان الثالث ووزراؤه استقبالًا رائعًا لم يعكر جو العلاقات بين الدولتين[٢] حيث استقبل السلطان الحفصي ووزراؤه ركب الحج المريني المتوجهة إلى أراضي الحجاز عام ٨٠٠هـ/١٣٩٧م أثناء مروره على العاصمة تونس، أحسن استقبال، وقام الوزراء الحفصيون بتشيعهم إلى طرابلس وحمايتهم بناءًا على أوامر السلطان فأكرموهم وشيعوهم إلى مدينة طرابلس[٣] وبناءًا على ذلك استقبل وزراء السلطان الحفصي أبوفارس عبدالعزيز وفد مريني من قبل السلطان أبى سعيد المريني سنة ٨٠٠٤هـ/١٤٠١م، يحمل هدية قيمة إلى السلطان أبى فارس عبد العزيز من أمير توطيد العلاقات بين الدولتين[٤]ولكن سرعان ما تحولت تلك العلاقات الطيبة إلى علاقات عداء بسبب تدخل السلطان المريني أبى سعيد عثمان

(١) كان السلطان أو فارس عبد العزيز من اعظم سلاطين بني حفص حيث استطاع من السيطرة على وزراؤه واعاد للدولة الحفصية هيبتها، حيث وجه قوى وزراؤه إلى خدمة الدولة واستغلها في القضاء على مفاسد الدولة، وصلت دولته أعلى درجات القوى والازدهار، الونشريسي: المعيار، جـ١٠، ص٦٠٥، ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، جـ٧، ص٢٢، المقريزي (تقي الدين بن أبو العباس أحمد): السلوك لمعرفة دول الملوك، صححه ووضع حواشيه: محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، دار الكتب، ١٩٧٢، جـ٤، ق٢، ص٩٢٣، الزركلي: الأعلام، جـ٤، ص١٤، عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، جـ١، ص١٧٠.

(٢) الزركشي: المصدر السابق، ص١١٨-١٢٠، السلاوي: الاستقصا، جـ٤، ص٩٠، السخاوي: الضوء اللامع، م٤، جـ٧، ص٢٤٥ مقديش: نزهة الانظار، جـ١، ص٥٩١

(٣) ابن القنفذ: الفارسية، ص١٩٩، الغنيمي: المرجع السابق، م٣، جـ٥، ص٣١٥

(٤) ابن القنفذ: الفارسية، ص١٩٩، الغنيمي: المرجع السابق، م٣، جـ٥، ص٣١٥

الثالث، حيث أرسل الأمير أبا عبدالله على رأس جيش مريني من أجل السيطرة على تونس[١] بناءًا على طلب وفد من الأعراب والذين جادوا إلى فاس بعد هزيمتهم من السلطان في وقعة عين الغدر بين تفراوة[٢] والحامه[٣] وتحرك الأمير عبدالله بن محمد الحفصي حتى وصل إلى أطراف بجاية والقمم إليه الاعراب وعظمت قوته فأمر القوات المرينية بالعودة إلى فاس، وتحرك إلى بجاية واستولى عليها دون مقاومة عام ٨١٠هـ/١٤٠٨ن ثم اتجه للقاء السلطان أبى فارس عبدالعزيز ووزراؤه وجيوشه شرقًا[٤].

وعلى الفور أمر السلطان أبو فارس عبدالعزيز ووزراؤه بسرعة التحرك إلى بجاية وبالفعل استولوا عليها وقضوا على حاكمها المنصور وأسروه ولحقوا بالأمير عبد الله وقتلوه، وأمر السلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز ووزراؤه بجزر رأس عبد الله وأرسلوها إلى فاس على يد من علقها على باب المحروقي

(١) الزركشي: المصدر السابق، ص١٢٣-١٢٤، السلاوي: الاستقصا، ص٩١، مقديش: المصدر السابق، جـ١، ص٥٩٥، السخاوي: الضوء اللامع، م٤، جـ٧، ص٤٥، إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ: جـ٢، ص٥٨، الحريري: تاريخ المغرب الاسلامي والأندلس، ص١٨٣

(٢) تفزاوة: من بلاد الجريد، وتبعد عن مدينة قفصة يومات وبعض يوم، راجع مجهول: الاستبصار، ص١٥٧-١٥٨

(٣) الحامه: س مدن كورة قسطنيطنه من بلاد الجريد بها حصن يسمى القصر ولها أرباض واسعة راجع الإدريسي: نزهة المشتاق، جـ١، ص٢٧٧.

(٤) الزركشي: المصدر السابق، ص١٢٤، السلاوي: الاستقصا، جـ٤، ص٩١، مقديش المصدر السابق، جـ١، ص٥٩٥.

- Mohamed Mezzine, Fes medieval Le editions authement, Paris, ١٩٩٢. P. ٤٠

عام ٨١٢هـ/١٤٠٩م وذلك ردًا على التدخل المريني في شئون الحفصيين[١] واستولى السلطان أبو فارس عبد العزيز ووزراؤه على تلمسان في جمادي الأخرة عام ٨٢٧هـ/١٤٢٣م وخطب على منابر تلمسان للسلطان أبى فارس عبد العزيز بعد أن أصبحت تلمسان حفصية بقتل وزراؤه المخلصين الشجعان[٢].

ولم ينسى أبو فارس عبد العزيز ما فعله سلطان فاس ووزراؤه من تأليب العرب عليه وعلى الفور تحرك بصحبة وزراؤه وجيوشه إلى فاس، وعندما اقترب من العاصمة المرينية وجد السلطان المريني عبد الحق بعدم قدرتهم على صد هذا الهجوم الحفصي فأرسل إلى السلطان الحفصي ووزراؤه من أجل السلم مع مندوبه هدايا عظيمة فقبلها السلطان الحفصي[٣] اعلن سلطان فاس بتبعيته للسلطان الحفصي ووزراؤه بأن البلاد بلادهم وجميع مايأمرون به تحت التنفيذ والطاعة[٤] وأصبحت جميع بلاد المغرب تحت السيطرة الحفصية

(١) الزركشي: المصدر السابق، ص١٢٤، ابن الخطيب: نفاضة الجراب، جـ٢، ص٢٦٥، السلاوي: الاستقصا، جـ٤، ص٩١، مقديش: المصدر السابق، جـ١، ص٥٩٦، السخاوي: الضوء اللامع، م٤، جـ٧، ٢٤٥.

(٢) الزركشي: المصدر السابق، ص١٢٥، المقريزي: السلوك جـ٤، ق٢، ص٦٦٨-٦٦٩، إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، جـ٢، ص٥٩، محمود السيد: تاريخ دول المغرب العربي، ص١٥٩.

(٣) الزركشي: المصدر السابق، ص١٢٦، عاشور بوشامه: المرجع السابق، ص٢١٥، إبراهيم حركات: المغرب عبرالتاريخ، جـ٢، ص٥٩، رشا سالم: المرجع السابق، ص٢١٣

(٤) الزركشي: المصدر السابق، ص١٢٦،الميلي تاريخ الجزائر، ص٧٨٣، الغنيمي: المرجع السابق، م٣، جـ٥، ص٣١٦.

وخطب على منابر جميع المساجد في تونس وتلمسان وفاس للسلطان الحفصي أبى فارس عبد العزيز بفضل سياسته ودور وزراؤه الفعال[١].

وأرسل السلطان الحفصي ابوفارس عبدالعزيز حامية من سبعمائة فارس بقيادة أبى عامر عام ٨٢٩هـ/١٤٢٥م لمساعدة بني مرين ضد الاحتلال البرتغالي لمساعدة المرينيين[٢] أرسل وزير البحر على رأس الاسطول الحفصي من أجل تخليص سينية من الاحتلال البرتغالي وكان وزير البحر الحفصي هو أبى عبدالله محمد بن الأحمر، ولكن لم تستطع القوات الحفصية المرينية من أحكام الحصار على القوات البرتغالية في سيتة وانتهي هذا الحصار بالفشل[٣] ظل المرينيون يؤكدون على تبيعتهم للدولة الحفصية حيث أرسل الوزير علي بن يوسف العطاس وزير السلطان عبد الحق المريني هدية قيمة بوفد رفيع المستوى حيث كان في مقدمته القصبة التبرني، واستقبل وزراء الدولة الحفصية والسلطان أبو فارس عبد العزيز لهم حيث أجرى لهم الارزاق حتى دخلوا عليه وذلك في عام ٨٦٢هـ/١٤٥٧م وأمر السلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز وزراؤه بارسال هدايا لسلطان فارس وسلطان تلمسان، حيث حمل وفد

(١) الزركشي: المصدر السابق،، ص١٢٦، المقريزي: السلوك م٤، ق٢، ص٩٢٣، ابن أباس: بدائع الزهور، جـ٢، ص١٥٧، الزركشي: الاعلام، م٤، ص١٤، مبارك الميلي تاريخ الجزائر، ص٧٥٩، يوسف فهمي الجزايرلي: الجزائر أرض البطولة، الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب والقيم الاجتماعية، الإسكندرية، ١٩٦٤، ص٣٠٠

(٢) إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، جـ٢، ص٢٦١، عاشور بوشامه: المرجع السابق، ص٢١٧، رشا سالم: المرجع السابق، ص٢١٤

(٣) عاشور بوشامه: المرجع السابق، ص٢١٨

فاس هدية سلطانهم، بينما أرسل وفدًا من قبله إلى صاحب تلمسان لهديته[١] ثم تحالفت الجيوش المغربية حفصية وزيانيه ومرينية) لحصار البرتغاليين في سبته مكانهم أيضًا لم يستطيعوا طردهم بسبب الامدادات القشتاليه للبرتغاليين[٢]. واستمرت تبعية الدولة المرينية تابعة للسلطان الحفصي حتى انهارت وسقطت بمقبل آخر سلاطينها السلطان عبد الحق المريني يوم الجمعة السابع والعشرين من رمضان عام ٨٦٩هـ/ ١٤٦٥م ويستولى الوطاسيون على السلطة وتبدأ البلاد المغربية مرحلة جديدة وهي المرحلة الوطاسية[٣] وكانت محاولة أبى فارس عبدالعزيز هي المحاولة الأخيرة لتوحيد بلاد المغرب الاسلامية مثلما فعل الموحدون[٤].

خلاصة القول كان للوزراء الحفصيين دور كبير في العلاقات مع الدلة المرينية فهناك من الوزراء من ساهم في اقامة علاقات طيبة بين الدولتين ووزراء حفصيين كانت لهم الكلمة في المراسلات مع السلاطين بني مرين في عهد نفوذ وسيطرة الوزراء وكانوا على مستوى المسئولية في الحروب الخارجية في عهد السلاطين الأقوياء حيث استطاعوا فرض السيطرة الحقيقية على جميع بلاد المغرب وهناك من الوزراء الحفصيين من كانوا خائنين بتشجيع القوى الخارجية للسيطرة على الدولة الحفصية من أجل الفوز بنفوذ وسلطات كبيرة

(١) الزركشي: المصدر السابق، ص١٥٠، عاشور بوشامه، المرجع السابق، ص٢٢١-٢٢٢

(٢) عاشور بوشامه: المرجع السابق، ص٢٢٠، الغنيمي: المرجع السابق، م٣، جـ٥، ص٨٠، رشا سالم: المرجع السابق، ص٢١٥

(٣) السلاوي: الاستقصا، جـ٤، ص١٠٠، رشا سالم، المرجع السابق، ص٢١٥

(٤) ابن الخطيب: كناسة الدكان، ص٢٨

والمصلحة الشخصية في ظل تخبط وانهيار سياسي حفصي.

obeikandl.com